وزارة التعليـــــــم العالـــــــي والبـــــحث العلمـــــــي

جامـــــــعة عمار ثليجي الأغواط

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية و الحضارة

قسم التاريخ



عنوان :

يوليوس قيصر وبوادر النظام الامبراطوري (102ق.م_ 44ق.م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطالبة :

أمينة بن جمعة

إشراف الأستاذ:

د/ صبيحة أوكيل

الموسم الجامعي: 2022 - 2023



اهداء

الى من كلله الله بالهيبة والوقار الى من علمني العطاء بدون انتظار الى من أحمل اسمه بكل افتخار أرجو من الله أن يمد في عمرك أبي الغالي

الى ملاكي في الحياة الى معنى الحب والحنان بسمة الحياة من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي أمي الحبيبة

الى اخوتي وأخواتي التي لم تلدهم أمي بنات خالتي رحمها الله

وأهدي الى كل زميلاتي في الدراسة وبالأخص طور ماستر

الى أستاذتي الفاضلة صبيحة أوكيل على المساعدة التي قدمتها لي وعلى التوجيهات والارشادات التي زودتني بها والوقت الثمين الذي خصصته من أجلي

الى كل من يعرفني من قريب أو من بعيد

الى كل من سلك طريق العلم سبيلا



كلمة شكر

أشكر الله العليم القدير الذي أمدني بالقوة والعزيمة لإنجاز هذا العمل ، فلك الحمد ولك الشكر ربي على كل نعمك

أشكر الأستاذة المحترمة الدكتورة صبيحة أوكيل التي لم تبخل علي طيلة مدة انجاز هذا العمل بتوجيهاتها السديدة ونصائحها الرشيدة فلك كل الشكر والتقدير

الى كل أساتذتي بالجامعة وأخص بالذكر أساتذة الماستر قسم الحضارات القديمة

أبو بكر مريقي، عبد الوهاب كيدار، طارق مريقي، محمد حمدي

أتقدم بالشكر لأعضاء اللجنة المناقشة الموقرة التي تشرفني بتوجيهاتها فيما يخص بحثي المتواضع

الى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث ولو بكلمة

الى كل هؤلاء أتقدم بأصدق مشاعر الامتنان وجزيل الشكر والعرفان الذي لا ينقصه الا عجز الكلمات...

المقدمة

تعتبر الحضارة الرومانية من بين أهم حضارات العالم القديم، وان جاءت متأخرة تمكنت من بسط سيطرتها على أجزاء كبيرة من هذا العالم، حتى أضحى البحر المتوسط بكامله مناطق نفوذ وهيمنة لروما، فأصبحت من مدينة في سهل اللاتيوم الى أقوى امبراطورية، لكن هذا لم يأتي من فراغ أو بسهولة، فهناك وسط هذا التطور حلقة ربط بين روما المدينة وبين روما الامبراطورية، تمثّل في عصر روما الجمهوري، والذي يعتبر العصر الذهبي من الناحية الاقتصادية، لأنه عصر التوسع والخروج عن نطاق روما، وبعد الهزيمة التي ألحقوها بقرطاجة، فرغت الساحة لهم ولم يعد هناك من منازع.

ومع كل ما سببته هذه الفتوحات من ثراء واغناء لموارد روما، الّا أنها عادت سلبا على الأوضاع الداخلية وخاصة في القرن الأخير من عمر الجمهورية، اذ لم يعد بمقدور الساسة الرومان حكم هذه الامبراطورية الكبيرة، -وان صحّ تسميتها بالإمبراطورية في عصر جمهوري-، ما جعل الحكم يغرق في سوء الادارة، فنتج عن هذا الوضع المتأزّم لظهور العديد من الشخصيات، على مسرح السياسة الرومانية التي كان لها بالغ التأثير في رسم الخطوات الآتية التي أدّت في نهاية المطاف الى اسقاط النظام الجمهوري.

ومن بين أبرز هذه الشخصيات نذكر يوليوس جايوس قيصر، شخصية رومانية أدركت أنّ نظام الحكم الراهن لم يعد يجدي نفعا، وما هو الّا نظام حكم لقرية صغيرة ولا يسع امبراطورية بأكملها، فسار بخطوات ثابتة نحو ايجاد الحل الأمثل لمثل هذه الأزمة.

لذلك ارتأيت أن أعالج في هذا الموضوع هذه الشخصية الرومانية، التي كتبت لها الظروف أن تحيا وسط جو من النزاعات والصراعات السياسية، والقدرة التي مكنت يوليوس من شق طريقه وسط كل هذا، حتى وصل الى أهم نقطة، وهي محاولة تأسيس نظام امبراطوري على أنقاض نظام جمهوري، ومن هنا جاء بحثي بعنوان يوليوس قيصر وبوادر النظام الامبراطوري.

تكمن أهمية الموضوع في دراسة فترة مهمّة من التاريخ الروماني، والتعرف على أعظم الشخصيات الرومانية التي صنعت تاريخ هذه الفترة، ومحاولة الالمام بشخصية يوليوس قيصر الرجل السياسي، العسكري المحنّك، والروائي الخطيب الشهير، ودراسة الدور الذي لعبه في صنع هذه الفترة.

يثير هذا الموضوع الكثير من التساؤلات من جوانب عدّة، يمكنني أن ألخّصها في الإشكالية التالية:

كيف ساهم قيصر في خضّم هذه الاحداث من تغيير نظام الحكم من جمهوري الى امبراطوري؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية العديد من التساؤلات يمكن صياغتها كالآتي:

- ماهي اصلاحات الأخوين جراكوس، وما مدى تأثيرها على الحياة في روما؟
- كيف ساهمت الحرب الأهلية الأولى في صنع مسار جديد لروما؟
- من هو يوليوس قيصر، وكيف ظهر على مسرح السياسة الرومانية؟
- ما هو نظام الحكم المنشود الذي كان بصدد انشاءه؟
- هل كان حقا ينوي تنصيب نفسه امبراطورا على عرش روما؟

كما أن هناك عدّة أسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع، منها أسباب موضوعية، وأخرى ذاتية.

أما الموضوعية، فتتمثل في تسليط الضوء على فترة مهمّة، ليس فقط بالنسبة لروما، بل للعالم القديم أجمع وكذلك الحاجة الى المزيد من الدراسات والبحوثات عن هذه الشخصية التي أثّرت في هذه الفترة تأثيرا لا يمكن المرور عليه مرور الكرام، أما الذاتية فتمثلت برغبة مني في دراسة مثل هذه المواضيع التاريخية، التي تسقط الضوء على أعظم شخصية في روما من وجهة نظري.

هدف هذه الدراسة هو اعطاء صورة واضحة عن شخصية يوليوس قيصر، و محاولة تقييم الأوضاع التي أحاطت به، وجعلته يدرك تمام الادراك فساد الجهاز الحكومي، الذي كان على رأس الجمهورية وتتبع مساره السياسي الذي أوصله الى أعلى المناصب في السلطة، وخوّله مناصب وتكريمات جعلته يضع النواة الأولى نحو نظام جديد يعتمد على حكم الفرد المطلق.

اعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي الوصفي في استقراء الأحداث وتتبعها وفق تسلسلها الزمني، واعتمدت كذلك على المنهج التحليلي في بعض النقاط التي يستوجب التحليل فيها، وفي بعض النقاط في دراستي تطلب مني توظيف المنهج المقارن، خاصة في النقطة المتعلقة بمقارنة نظام الحكم عند الرومان بنظام الحكم الشرقي.

وللإجابة على الاشكالية السابقة، اقتضت الضرورة تقسيم البحث الى ثلاث فصول رئيسية بالإضافة الى الفصل التمهيدي، الذي حمل عنوان الأوضاع السياسية في روما مع بداية القرن الأول قبل الميلاد، وقد قسّم الى ثلاث مباحث، كان المبحث الأول بعنوان نتائج اصلاحات الأخوين جراكوس على الأوضاع العامة، أما المبحث الثاني فقد كان عن الحرب الأهلية الأولى(107- 79 ق.م)، وجاء المبحث الثالث تحت عنوان الجمهورية بعد الحرب الأهلية الأولى.

الفصل الأول معنون بيوليوس قيصر والنشاط السياسي، ويندرج ضمنه خمس مباحث، المبحث الأول تحت عنوان شخصية يوليوس قيصر، و المبحث الثاني بعنوان علاقة قيصر بمجلس الشيوخ، و أتبعه المبحث الثالث

بعنوان قيصر قنصل، وجاء المبحثين الرابع والخامس على التتابع بعنوان قيصر ولقب الامبراطور، تأليه قيصر ووراثة العرش.

تطرقت في الفصل الثاني الى يوليوس قيصر والحرب الأهلية الثانية، والذي احتوى على جملة من المباحث يبدأ المبحث الأول قيصر وحروب الغال، ويأتي المبحث الثاني بصيغة الحلف الثلاثي، أما المبحث الثالث فقد كان معنون بالصراع مع بومبي، وأتبعه المبحث الرابع بعنوان مقتل بومبي وانفراد قيصر بالسلطة، في حين أن المبحث الخامس جاء تحت عنوان نتائج الحرب الاهلية ومقتل قيصر.

أما الفصل الثالث والأخير خصصته لإبراز المنجزات الحضارية ليوليوس قيصر، وقد قسّم الى ثلاث مباحث، الأول حمل عنوان القوانين والتشريعات، والمبحث الثاني يحمل اسم اصلاحات قيصر، وعنوان المبحث الثالث الأدب والتاريخ والخطابة.

وأنهيت هذا البحث بخاتمة، تضمنت أهم النتائج وأبرزها، ولزيادة التوضيح أرفقت هذه الدراسة بعدد من الملاحق في شكل صور وخرائط.

وللوصول الى النتائج المرجوة من هذه الدراسة اعتمدت على مجموعة من المصادر، بداية بكتاب تاريخ الأباطرة وفلاسفة الاغريق للمؤرخ اليوناني بلوتارخ، فقد تضمن معلومات قيّمة فهو ذو فائدة كبيرة في اغناء موضوع بحثي، لما يحتويه من سير القادة ورجال السياسة وأبرزهم يوليوس قيصر وحروبه، ومعلومات أخرى عن المعارك والاتفاقيات التي حدثت في تلك الفترة.

كما استعملت كتاب مذكرات يوليوس قيصر عن حروبه في بلاد الغال، وكذلك كتابه عن الحرب الأهلية واللذان أعطيا معلومات مهمة ودقيقة عن حروبه في غالة، بالإضافة الى صراعه مع بومبي وبعض الشخصيات المهمّة في تلك الفترة.

وقد أعانني في هذا البحث العديد من المراجع، و على رأسها كتاب ابراهيم نصحي تاريخ الرومان الجزء الثاني الذي استعملته في الكثير من محطات هذا البحث، بالإضافة الى كتاب عبد اللطيف أحمد علي عصر الثورة من تبريوس جراكوس الى أغسطس يحمل تفصيلا دقيقا لبحثي، اعتمدت عليه كثيرا وخاصة في الفصل الأول وكتاب آخر لول وايرا ديورانت قصة الحضارة(الحضارة الرومانية) يحوي هذا الكتاب على تفاصيل مهمة وقيّمة للبحث، بالإضافة الى شخصيات فاعلة في هذه الفترة، كما أن مذكرة الماجستير لفيصل دلول اللهيبي الحكومة الثلاثية الأولى في بلاد الرومان، أعانتني كل العون في انجاز جميع مراحل هذه الدراسة، وكتب أخرى ساهمت ولو بالقليل، كتاب التاريخ الروماني لأيوب ابراهيم، وكتاب امبراطورية الرومانية لمصطفى العبادي،

وكتاب آخر لحسيني الحسيني المعدى يوليوس قيصر حياة أسطورية ونهاية مأساوية كان له الفضل في الدراسة الشخصية ليوليوس قيصر.

وكغيره من البحوث لا يخلو من الصعوبات اذ واجهتني في اعداده العديد منها:

- الترجمة لبعض الكتب، أخذت مني الكثير من الوقت.
- صعوبة التحكم في كثير من المعلومات التي من غير الممكن تجاوزها .
- صعوبة التعامل مع بعض المصادر.

الفصل التمهيدي

الأوضاع السياسية في روما مع بداية القرن الأول قبل الميلاد

كان لاستفراد الطبقة الارستقراطية في روما بالحكم منذ بداية العصر الجمهوري آثار سلبية كثيرة والاهم في هذه الآثار التهميش الذي طال جميع الطبقات وخاصة الطبقة العامة، وازداد الشرخ اتساعا بعد توسع رقعة الجمهورية، فأصبحت الارستقراطية أكثر امتيازا تبسط سيطرتها على مجلس الشيوخ وتقوم بإدارة شؤون الدولة كما استأثرت بخيراتها، وازاء هذه الوضعية التي كانت تدفع الرومان شيئا فشيئا الى الانقسام، كان لابد من تغيير الوضع الراهن أو على الأقل تحسينه، لذلك ظهرت محاولات الاصلاح وانتهت بصراعات عسكرية غيّرت مجرى الأمور في الجمهورية، وهذا ما سأتطرق اليه في هذا الفصل.

I. نتائج إصلاحات الأخوين جراكوس على الأوضاع العامة في روما:

1. تبريوس جراكوس ومشروعه الاصلاحي:

لم تكن الأوضاع التي آلت اليها الجمهورية تروق للكثير من الرومان من الطبقة العامة، بل وحتى قسما من طبقة النبلاء أنفسهم، الذين أدركوا وببصيرة حادة أنّ هذا المسار سيؤدي حتما بروما الى التدهور واضطراب الأوضاع، وهو ما وقع فعلا، وبذلك انقسم النبلاء الى فريقين فريق من المحافظين (Optimates)، وهو الفريق الممسك بزمام الأمور في مجلس الشيوخ[1]، والواقف دوما في وجه أي اصلاح لصالح الطبقة العامة والشعب الروماني عموما، وفريق آخر من الشعبيين (Poupulare)، يدعوا الى إصلاح الأوضاع قبل استفحالها[2].

1- **مجلس الشيوخ**: هي الهيئة ذات النفوذ الأوسع في الدولة يدعون أعضائه بالآباء، كانت عبارة عن هيئة استشارية في بدايتها لكن ازدادت سلطته زيادة كبيرة خاصة في العصر الجمهوري، أنظر: عبد الطيف أحمد علي، **التاريخ الروماني**، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 2011، ص218.

2- عمر بوصبيع، "**المحاولات الاصلاحية للأخوين جراكوس وانعكاساتها على الأوضاع العامة للجمهورية الرومانية 133-121ق.م**"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 11، الجزائر، 2017.03.25، ص54.

ظهر الصراع بوضوح بين فريق المحافظين وفريق الشعبيين سنة 133ق.م، حين طرح "تبريوس جراكوس" (Tiberuis Sempronus Cracclus)[1] الذي كان يشغل منصب تريبون العامة[2] لتلك السنة، مشروعا لحل مشكلة الأراضي من خلال تحديد مساحة الأرض المملوكة لكل شخص، وتوزيع الفائض منها في الأرياف الايطالية على صغار الفلاحين، بغرض اعادة بناء الطبقة الوسطى التي تآكلت جراء الحروب، واستغلال الملّاك الكبار من الارستقراطيين لظروف الحرب، وأخذ أجزاء كبيرة من الأرض لصالحهم، أدرك "تبريوس" أن المشكل يكمن في تزايد أملاك هؤلاء، ولم يجد أحسن من العبيد لخدمتها بأجر زهيد خاصة انهم غير معنيين بالخدمة الوطنية، وكان تزايد عدد العبيد في تلك البساتين على حساب الأحرار الذين فقدوا أملاكهم، بعد العودة من الحروب، ولم يعد لهم أي شغل سوى الفراغ والبطالة، وبذلك كان تضاؤل عدد الأحرار الذين يمثلون عمود الجيش الروماني وهو الخطر الأول، وكذلك زيادة العبيد الذين ثاروا بسبب وضعهم المتأزّم وسبّبوا مشاكل للجمهورية الرومانية[3].

لم يكن تبريوس الأول في طرح مثل هذه المشاريع، لكنه الأكثر اصرارا وحزما ممن سبقوه في عرض هذا المشروع حيث ألقى خطابا شعبيا يحمل في طياته بنود مشروعه، ويعتبر اعادة لقانون ليكينوس سيكستوس[4] الاصلاحي في حفل تنصيبه كتريبون للعامة

لم يكن الطريق معبّدا لتمرير هذا القانون فأول عقبة واجهت التصويت عليه هو اعتراض زميله في التريبونية، وهو "ماركوس أوكتافيوس" (Marcus Octavuis) بتحريض من مجلس الشيوخ وكذلك

1- **تيبريوس جراكوس**: من النبلاء، تولى والده القنصلية مرتين عام 177ق.م، 163ق.م أمه كورنيليا ابنة سكيبيو الأكبر ذات النسب العريق، غير أن عشيرة سمبرنيوس التي نسب اليها تنتمي الى طبقة العامة. أنظر: بلوتارخ **تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق**، تر: جرجيس فتح الله، مج3، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2010، ص1511-1512.

2- **التريبون**: هو منصب رسمي ينتخب صاحبه للدفاع عن مصالح الشعب ضد الارستقراطية ويتمتع بحق الاعتراض في مجلس الشيوخ، أنظر: حسين الشيخ، **الرومان**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996، ص189.

3- عمر بوصبيع، المرجع السابق، ص55.

4 **قانون ليكينوس سيكستوس**: هو قانون يحمل في طياته البنود التالية: أن لا يسمح لأي مواطن أن يستفيد أكثر من 323 فدانا اذا كان لديه اثنان من الأبناء، مصادرة ما يزيد عن الحد الأقصى للملكية من الأراضي العامة و يقسمه الى اقطاعات مساحة كل منها 20 فدان توزع على المواطنين الفقراء شرط أن لا يبيعوها، أنظر ول وايرل ديورانت، **قصة الحضارة** (الحضارة الرومانية قيصر والمسيح)، تر: محمد بدران، ج1، مجلد3، دار الجيل، لبنان، 1988، ص238.

لأنه من أصحاب الأملاك الكبيرة، فهو أول المتضررين بهذا المشروع، وحين وجد صعوبة في اقناعه، قام بخلعه من منصبه بتوجيه تصويت جمعية القبائل[1] وأعيد انتخاب "كانتوس مومينوس" (Quintus Memmius) بديلا "أوكتافيوس"، وتم الموافقة على المشروع وأصبح يعرف "سمبرونيوس" (Lex Sampronia Agraria)[2].

وبذلك نجح "تبريوس" في تمرير قانونه وقد اعترضه تحديين اثنين وهما أن يقوم بتنفيذ المشروع والثاني يكمن في تمويل المشروع، فسعى الى تعيين نفسه وأخيه "جايوس" وصهره "كلوديوس" (Clauduis) أعضاء للجنة ثلاثية تقوم بتنفيذ بنود القانون، وكذلك قرار استغلال جزء من ثروة "أتالوس الثالث" (Attalus 3)[3] ملك برجام[4]، الذي أوصى بها للشعب الروماني، وبذلك يكون قد تدخل في الاشراف على أموال الدولة والشؤون الخارجية لها، وبالنظر الى انتهاء التربونية قرر ترشيح نفسه لتولي التربونية ثانية من أجل استكمال بقية المشروع، وكذلك لحماية نفسه بعد سقوط الحصانة عنه، بدأت عملية الاقتراع في تل الكابيتول وتأجلت ليوم الغد.

وفي اليوم التالي أصّر النبلاء على عدم ترشيحه فنشب خلاف بين ترابنة العامة المؤيدين والمعارضين، في تلك الأثن(اء أعطى تبريوس اشارة الى أنصاره، أجمع الكثير من المؤرخين على أنها فهمت خطأ منهم، على أنه أذن لهم باستخدام العنف، مما أدى الى وقوع شغب شديد بسبب

1- **جمعية القبائل**: مخصصة لعامة الشعب الروماني الذي صار عدد قبائله في عام 265ق.م 35 قبيلة، كان واجبها انتخاب حكام المستوى الثاني في الهرم الاداري، وتنظر في قضايا الاستئناف ما عدا عقوبة الاعدام، وأصبحت قراراتها مصدرا مهما لتشريع الرومان، أنظر: شهرة خالد، **التشريع الروماني في العصر الجمهوري (509-27ق.م)**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، 2014-2015، ص81.

2- محمود ابراهيم السعدني، **تاريخ وحضارة الرومان** منذ نشأة روما وفي نهاية القرن الأول ميلادي، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية، القاهرة، 1998، ص106.

3- **أتالوس الثالث**: كانت تربطه صداقة مع روما، ولم يكن له خلف فخاف أن يؤدي الخلاف على العرش بعد وفاته الى تدخل روما، ومن ثم استلائها على المملكة ولتجنب كل هذه المتاعب للمملكة، أوصى بثروته بعد وفاته الى الشعب الروماني، أنظر: محمد علي الكوافي، **"دراسة تحليلية للعلاقات السياسية بين الرومان ومملكة أتالوس في آسيا الصغرى في الفترة من 197ق.م-133ق.م"**، مجلة كلية الآداب، العدد 44، جامعة بنغازي، أفريل2019، ص268.

4- **برجام أو برغامة**: من أهم مدن آسيا الصغرى، وهي تقع في مقاطعة موسيا في الزاوية الشمالية الغربية من آسيا الصغرى، على بعد 16 ميلا من بحر ايجة فيما يعرف اليوم بتركيا استخدمها الرومان كمركز سياسي واداري لمقاطعة آسيا. أنظر: نفسه، ص286.

مناوشات أدت الى هروب العديد من الترابنة من الجلسة، ولحق بهم النبلاء وانتشرت شائعة عزله لباقي الترابنة، وتعيين نفسه تربونا دون انتخابات، وكان رجال مجلس الشيوخ مجتمعين في تلك الأثناء حتى وصلتهم الأنباء، فاندفعوا في عدد كبير من اتباعهم وعبيدهم وهاجموا "تبريوس" وأنصاره وصرعوهم ثم ألقوا بجثث القتلى في نهر التيبر[1].

2.جايوس جراكوس واعادة بعث مشاريع الاصلاح:

بعد مقتل "تبريوس" بتسع أعوام أنتخب أخوه الأصغر "جايوس جراكوس" 154ق.م-121ق.م نقيبا لعام 123ق.م، كان خطيبا قوي الشخصية واسع الأفق، لقد رأى أنه لا يمكن اصلاح الأوضاع في روما، الّا بالحد من سلطة النبلاء، وأحداث تغير في علاقات مجلس الشيوخ بالحكام، وكذلك في علاقات روما بسكان ايطاليا، واحداث تلك التغيرات كان يتطلب تكوين جبهة سياسية قوية، تتكون من كل الطبقات المتذمرة من الحكومة وأنصارها[2].

رغم سماحة خلق "جايوس جراكوس" وميله الى التواضع والتسامح، الّا أنه لم يستطع أن ينسى مقتل أخيه "تبيروس" وطرح في خطابه الأول بعد انتخابه مشروعي قانونين، لا يخلوان من روح الانتقام، ينص الأول على أنّ كل نقيب للعامة يقال من منصبه من طرف الشعب لا يمكنه أن يشتغل بعد ذلك أي منصب حكومي، أما الثاني فينص على أنّ كل قنصل[3] أو نقيب يعاقب مواطن روماني دون اعطائه حق التظلم أمام محاكم الشعب يحال الى المحاكمة، وكان يقصد بالقانون الأول أكتافيوس الذي عزله أخوه "تبريوس"، وبالقانون الثاني بوبليوس الذي كان برايتورا[4]، وأثناء بريتوريته عاقب ونفى أصدقاء "تبريوس" دون انتظار المحاكمة، رحل "بوبليوس" من ايطاليا أما بالنسبة

1- عمر بوصبيع، المرجع السابق، ص28.

2- أحمد فيصل دلول اللهيبي، **الحكومة الثلاثية الاولى في بلاد الرومان** دراسة تاريخية 59-44ق.م، مذكرة ماجستير، جامعة بغداد، 2015، ص34.

3- **القنصل**: حلّ محل الملك في رئاسة الدولة حاكمان ينتخبهما سنويا مجلس الشعب وهما القنصلان اللذان كان لهما في الضاهر ما كان للملوك من سلطة، وان كانت صلطتهم في الواقع أقل من سلطة الملوك، أنظر: عمر ممدوح مصطفى، **القانون الروماني**، ج1، ط2، مطابع البصير، الاسكندرية، 1954، ص35.

4- **برايتور**: حاكم قضائي، لما وضح عجز القناصل عن تحمل أعباء الوظيفة القضائية عهد بولاية القضاء في مسائل مدنية الى حاكم قضائي منتخب من الشعب، فأنشئت في عام 327ق.م وظيفة برايتور مدني، ولما اتسعت روما دخلوا في علاقات مع الاجانب أنشئت عام 242ق.م وظيفة برايتور الأجانب، ينتخبان سنويا. أنظر: عمر ممدوح مصطفى، المرجع السابق، ص36.

لـ"أكتافيوس" فقد تراجع "جايوس" عن ذلك القانون وسحبه نزولا عند رغبة والدته بالعفو عنه، وتقبّل الشعب ذلك العفو بفرح[1].

اقترح جايوس وسنّ عدة قوانين تركزت اهمها في مواضيع ثلاث: التموين بالقمح، القانون الزراعي واصلاح القضاء، يرى البعض انه يحق لكل فرد من العامة شهريا مقدار من القمح كنوع من الهبة، وهناك من يرى انه حدّد سعرا منخفضا للقمح الذي يعطى ويوزع على الفقراء، وعرف ذلك القانون بقانون الغلال، الذي يعمل على استقرار سعر القمح وتمكين العامة من الحصول عليه لذلك قام ببناء الصوامع لتخزينه، أما فيما يخص الاصلاح الزراعي، فقد سنّ قانونا يعنى بإنشاء عدد من المستعمرات في ايطاليا، وتوزيع اراضي تلك المستعمرات التي كانت تعود اصلا للدولة على المواطنين الفقراء، الذين تم ارسالهم الى هناك، واستكمالا لقانون الاصلاح في مجال الزراعي، اصدر "جايوس" قانونا يقضي بإنشاء شبكة من الطرق الريفية في مختلف انحاء ايطاليا، بالإضافة الى تحسين الطرق الريفية القديمة[2].

من أجل استمالة فئة الفرسان[3] اعطاهم وظائف قضائية كانت للنبلاء، الذين غرقوا في الاعمال المخزية والشائنة، من خلال اخضاع وظائفهم للبيع والشراء، وبذلك تحولت السلطة القضائية العليا من النبلاء واعضاء مجلس الشيوخ لصالح الشعب ولصالح طبقة الفرسان، اضافة الى أنه خصّ أفراد هذه الطبقة بجمع الضرائب في مقاطعة آسيا، أضاف الى عدد الشيوخ الثلاثمائة الذين يشغلون مناصب قضاة في المحاكم الرومانية عددا مماثلا من طبقة الفرسان، فصنع كيانا ينافس النبلاء[4].

كانت السنة الثانية من تربونية "جايوس" ذات أحداث مختلفة تماما عن سنته الأولى؛ حيث تدنت فيها شعبيته بعد طرحه لمشروع منح حق المدنية للشعب اللاتيني الذي لم يرق لا لمجلس الشيوخ

1- بلوتارخ، **تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق**، تر: جرجيس فتح الله، مج2، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2010 ، ص1534.

2- عمر بوصبيع، المرجع السابق، ص67.

3- **طبقة الفرسان**: كانت أرستقراطية أصحاب رؤوس الاموال الكبيرة خلال القرن الأخير من العصر الجمهوري، وقد كان لقب الفارس يطلق في بداية الأمر على ملّاك الأراضي الذين يخدمون في الجيش على صهوات الجياد تمدهم بها الدولة، ومنذ تطوع أثرياءهم باقتناء الجياد على نفقتهم الخاصة أخذ اسم الفرسان يتسع ليشمل معه أثرياء التجار، أنظر: علي مؤمن ادريس مؤمن، **الحياة الاجتماعية الرومانية خلال العهد الجمهوري**، مذكرة ماجستير، جامعة بنغازي ليبيا، 2012، ص25.

4- عمر بوصبيع، المرجع السابق، ص69.

ولا للعامة، وتقاطعت مصالح العامة مع مجلس الشيوخ، وبدأ حلف "جايوس" مع العوام يتفكك فرفض مجلس الشيوخ مشروع حق المواطنة للحلفاء، ومنع بناء مستعمرة على أرض قرطاجة[1] فحدثت صراعات بين مناصرين ومعارضين فاستغلوا الحادث ودعوا أن جايوس يقوم بالتحريض على ذبح موظفي الدولة، فبدء التصادم على أشده فأقنع القنصل أوبيميوس أعضاء مجلس الشيوخ بالتسلح.

ان مشروع الأخوين "جراكوس"، حمل في طياته حماية مصالح العامة وتحدي مجلس الشيوخ، ما دفعهما للخروج عن الدستور، ومع أنهما أضعفا مكانة المجلس وقللا من هيمنته في نظر الناس الّا أن ذلك المجلس لم يمسه الاصلاح، وظلّ الفساد متفشيا فيه كنتيجة طبيعية لذلك الوضع، قلّ ولاء المواطنين للدولة وهبط مستوى الكفاءة في مختلف فروع الادارة؛ بحيث أن مشروع الغلال الذي طرحه "جايوس" قد أوهن العامة وافسد طباعهم وأصبحوا أكثر تواكلا وكسلا واستهتارا، مما شجعهم بعد ذلك على إحداث فوضى، وجعلوا من المشروع حق يجب على الدولة توفيره، كما أن قانون جباية الضرائب خلق مشكلة، بحيث سلّط طبقة الفرسان على الملّاك وأصحاب الضيّاع، ولا يمكن لشيء أن يردعهم، اذ ان السلطات القضائية بين أيديهم، كما أن مقتل الاخوة جراكوس يعتبر بداية لفتح المجال لسفك الدماء، وبداية الصراع الحزبي، ويعتبره المؤرخون النواة الأولى للحروب الأهلية[2].

II.الحرب الأهلية الأولى (107–79ق.م):

1.ظهور القادة العسكريين في الساحة السياسية:

لم تمض بضع سنوات على موت "جايوس"، حتى اتضح الفساد وعدم الكفاءة، واشتعلت من جديد نار التطاحن الحزبي أثناء ذلك القتال الذي خاضته روما في شمال افريقيا، ضد الزعيم النوميدي يوغرطة (Iugurtha)[3]، فقد استطاع هذا الرجل أن يخدع سفراء مجلس الشيوخ، ويتحدى الجيوش الرومانية مستغلا نزوع هؤلاء للتمرد واستعداد أولئك للرشوة، لكن هذا الصراع الذي بدأ في

1– **قرطاجة**: أشهر المستوطنات الفينيقية وأكثرها أهمية على الاطلاق وأصل تسميتها –قرت حدشت– التي تعني المدينة الجديدة نسبة الى مستوطنة أوتيكا الأقدم موقعها تونس حاليا، تمكنت من بسط سيطرتها على غرب المتوسط وأسست أقوى الحضارات أنظر: كيحل البشير، **"قرطاجة والممالك النوميدية: دراسة في الأصول التاريخية"**، مجلة الدراسات التاريخية، مج1، العدد1، 2020، ص49.

2– عمر بوصبيع، المرجع السابق، ص69.

3– **يوغرطة**: هو ملك نوميدي ولد بسيرتا عاصمة نوميديا، تسمى حاليا قسنطينة سنة 160ق.م وهو حفيد ماسينيسا أنظر: سالوست، **الحرب اليوغرطية**، تر: محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، (د.ت)، الفقرة 6.

111ق.م أنجب جنديا عظيما يدعى "ماريوس" (Marius)(أنظر الملحق1ص119) وهو رجل عصامي ايطالي المولد، وجنديا عظيما آخر يدعى سولا وهو سليل أسرة شريفة[1].

دخل ماريوس عالم السياسة انطلاقا من منصب التريبون لعام 119ق.م، الذي ظفر به بعد خدمة عسكرية موفقة تحت قيادة "سكيبيو ايميليانوس"[2]، وفي عام 115ق.م ظفر بمنصب البرايتور، ثم أرسل في العام الذي يليه بوصفه برايتور سابق الى اسبانيا، وفي عام 109ق.م آلت القيادة ضد يوغرطة الى القنصل "ميتيلوس" (Metellus) الذي وقع اختياره على ماريوس كواحد من كبار مساعديه، فكانت هذه هي بداية ظهور هذا الأخير كشخصية لها أثرها في وضع نهاية لحرب يوغرطة، التي طالت وكشفت القناع تماما عن عجز مجلس الشيوخ وألحقت الكثير من الهوان للرومان.

أظهر في كل العمليات العسكرية التي تولاها والتي شارك فيها مهارة فائقة، فدفعه طموحه الى اتخاذ قرار الترشح لمنصب القنصل، لكن ميتيلوس صدّه صدّا جارحا يحمل السخرية، عندئذ أخذ ماريوس يكيد له ويقلب الجنود عليه، فما كان من الأخير الّا أن يجيبه الى طلبه، وبفضل المساندة الشعبية ومساندة الفرسان حصل على قنصلية عام 107ق.م، وكذلك أسندت اليه مهمة الحرب ضد يوغرطة من طرف الجمعية القبلية متجاهلة مجلس الشيوخ الذي أسند المهمة لـ"ميتيلوس"[3].

وبعد أن باشر عمله وجّه كل اهتمامه الى جمع أكبر قوة ممكنة كي يضمّها الى القوات في افريقيا، ولينفذ هذا استحدث أسلوبا جديدا في طريقة تجنيد القوات العسكرية، ونعني به أسلوب التطوع، فقد فتح باب الانضمام لتلك القوات المحاربة على مصراعيه لكل مواطن روماني راغب في ذلك، بصرف النظر عن شرط الثراء، كما أنّه وحّد لباس الجنود وسلاحهم دون النظر الى الطبقات، وما كادت أبواب التطوع تفتح حتى تدفقت أعداد هائلة من الراغبين في العمل تحت قيادته[4] –وهي

1- عبد اللطيف أحمد علي، **التاريخ الروماني** عصر الثورة من تيبيريوس جراكوس الى أكتافيوس أغسطس، دار النهضة العربية، لبنان، (د.ت)، ص45.

2- **سكيبيو ايميليانوس**: المعروف بسكيبيو الافريقي الاصغر كان جنرالا رومانيا ورجل دولة معروف بمآثره العسكرية في الحرب البونيقية الثالثة ضد قرطاجة، أنظر: سالوست، المصدر السابق، الفقرة 27.

3- محمود عواد حسين، **"الثورة الرومانية المرحلة الثانية ماريوس وسولا"**، مجلة كلية الآداب والتربية، العدد 15، يونيو، 1979، ص191.

4- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة....)، المرجع السابق، ص54.

أول نقطة جعلت ولاء الجيوش الى قائدها لا لوطنه- وعيّن سولا كوايستورا[1] لمرافقة ماريوس في هذه الحرب، فأحدثوا نتائج هائلة من خلال فوز ماريوس في جميع المعارك، ونجاح سولا في استمالة حليف يوغرطة بوخوس[2] ملك موريتانيا[3] واقناعه بالغدر بحليفه، وهكذا انتهت هذه الحرب، وبعد وصول نبأها الى روما تمّ انتخاب ماريوس -في غيبته- قنصلا للمرة الثانية لعام 104ق.م وهذا مخالف للدستور.

ولكن سرعان ما أحدق بإيطاليا خطر أشد من سابقه، وذلك عندما زحف الكمبريين والتيوتونيين (وهم قبيلتان ساكنتان في الجهة الشمالية من أوروبا) الى الجنوب بالقرب من جبال الألب وأخذوا في تخريب ونهب البلاد الغالية، فأرسل مجلس الشيوخ الجيوش اللازمة لقمعهم، لكن قادة تلك الجيوش كانوا جاهلين فهزموا شر هزيمة سنة 104ق.م، لذلك استعان الرومان بماريوس فأقاموه قنصلا لأربع سنوات متتالية، واستطاع تخليصهم من هذه القبائل، وبدأ في الظهور كزعيم شعبي في تولي زمام الأمور في الحركة المناهضة لمجلس الشيوخ، غير انه فشل كزعيم سياسي رغم براعته كقائد عسكري، وبذلك لم تعد العامة تحترمه ولا مجلس الشيوخ يخشاه، فانشق الحزب الديمقراطي على نفسه وساءت سمعته، فخرج من المدينة متحيّنا الفرصة التي يسترجع بها مجده[4].

ثمة ظاهرة أخذت تتفاعل لتزيد الأمور تعقيدا في تلك المرحلة، وهي حلفاء روما من الايطاليين، اذ بدأ أهالي المدن الايطالية الذين أخضعتهم روما في بداية عصرها الجمهوري، وفرضت عليهم التحالف معها، وتقديم الجنود والسفن والمساعدات المختلفة في وقت الحرب، يضيقون بوضعهم وخضوعهم لشعب روما.

1- **كوايستورا (Quaestor)**: هي وظيفة ظهرت في العهد الجمهوري، اختصاص هذا الموظف هو الشؤون المالية، أنظر: عمر ممدوح مصطفى، مرجع سابق، ص36.

2- **بوخوس**: ملك موري حكم بلاده حوالي 110ق.م وأشير اليه من قبل المؤرخين ببوخوس الأول كان ملكا لموريتانيا وصهرا ليوغرطة، أنظر: أصطيفان أكصيل، **تاريخ شمال افريقيا**، تر: محمد التازي سعودي، ج7، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص 192.

3- **موريتانيا**: أطلق هذا الاسم على مملكتين في المغرب القديم هما موريتانيا القيصرية وتقع غرب الجزائر وعاصمتها شرشال وموريتانيا الطنجية عاصمتها طنجة، أنظر: محمد بيومي مهران، **المغرب القديم**، دار المعرفة، الاسكندرية، 1990، ص191.

4- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة....)، المرجع السابق، ص60.

ازداد الموقف تعقيدا حينما حدث انقسام داخل حزب الشعبيين في روما، فوجدنا بعض زعمائهم المتطرفين يميلون الى انصاف الخلفاء الايطاليين بمنحهم المواطنة الرومانية، ومثل هذا الموقف كان سيرضي الإيطاليين بأن يصبحوا مواطنين رومان، وبالتالي ما يترتب عليه ذلك من تمتعهم بكل الامتيازات الرومانية، وأهمها عطاءات الجنود وكذلك تكسب روما مزيدا من الجنود في الفرق الرومانية، وبذلك تزداد قوتها العسكرية التي كانت في حاجة مستمرة اليها، ورغم ذلك كان مجلس الشيوخ وكثير من الشعبيين أنفسهم يعارضون مثل هذا الحل، بدعوى حرصهم على نقاء الدم الروماني، والاستئثار بأكبر قدر من مكاسب الحروب، فبلغ الموقف درجة الأزمة حين تعرض أحد زعماء العامة ويدعى "دوروس" (Drusus) للقتل، وكان ينادي بمنح المواطنة للإيطاليين من موقعه كنقيب للعامة سنة 90ق.م، ونتيجة لذلك قام الايطاليون بثورة عارمة سرعان ما تحولت الى حرب ضد روما عرفت باسم "حرب الحلفاء" واشتهرت أيضا باسم "حرب المارسية" نسبة الى المارسيون[1].

وهنا أتت الفرصة التي انتظرها ماريوس، بعد أن آلت اليه القيادة في الجهة الشمالية من مسرح الحرب بعد الهزائم الأولية وفشل القنصل، واستطاع انقاذ الموقف بضرب المارسيين، كما أوكلت مهمة الجهة الجنوبية لسولا ورغم الانتصارات المحققة، الّا أن روما لم تتمكن من القضاء على هذه الثورة التي تحولت الى حرب، الّا بقبول منح الايطاليين المواطنة الرومانية، لكنهم رغم ذلك استمروا يشعرون بأنهم مواطنين من الطبقة الثانية، وذلك بسبب عدم حصولهم على عضوية المجلس، وكذلك منع تسجيلهم ضمن القبائل الرومانية القديمة[2].

2.الصراع بين القادة العسكريين "ماريوس" و"سولا":

كان من المتوقع بعد حدوث هذا التغيير الكبير أن يعود السلام والوئام الى ايطاليا، غير أن ايطاليا على النقيض من ذلك، أقبلت على عصر من أحلك عصورها، حتى أن خصوماتها المريرة التي حدثت في أواخر العصور الوسطى لم تبلغ في فظاعتهما ما بلغته على أيام ماريوس وسولا، لكن ينبغي قبل المضي في سرد قصة هذا النزاع المرير أن نلم بجزء من سيرة سولا، لعلنا نضع ايدينا على جذور هذا النزاع.

1- **المارسيون**: كانوا من سكان جبال الابنين في وسط ايطاليا الذين ينقسمون بدورهم الى جماعتين أو شعبين رئيسيين وهما شعب مارسين في الشمال، وشعب السمنتيين في الجنوب، أنظر: عبد اللطيف أحمد علي،(عصر الثورة...)،المرجع السابق، ص65.

2- أحمد غانم حافظ، **الامبراطورية الرومانية من النشأة الى الانهيار**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2007، ص33.

كان "لوكيوس كورنيليوس سولا" (Lucius Cornelius Sulla) (138-78ق.م)(أنظر الملحق 2ص119)، سليل أسرة من الأشراف كما سبق لي القول، وقد خدم بوصفه كوايستورا ثم نائبا عسكريا، ثم نائبا عسكريا مزودا بسلطة بديل برايتور، تولى البرايتورية عام 93ق.م، وعهد اليه مجلس الشيوخ بوصفه نائب برايتور في عام 92ق.م أن يعيد آريو بارزانيس الى عرش كبادوكيا في شرق آسيا الصغرى، وبعد أن طرده منها مثراداتيس[1] ملك بنتوس، وأنجز سولا المهمة بنجاح، ونظرا لكفاءته وسمعته العسكرية بدأ مجلس الشيوخ يتطلّع اليه كزعيم، وبذلك جدّ عامل الخصومة الحزبية الى جانب الغيرة المهنية، لكي يلهب نار العداوة الشخصية بينه وبين ماريوس، غير أن نشوب الحرب الايطالية في عام 90ق.م أنستهما الخصومة الشخصية مؤقتا، وقد قام الاثنان كما رأينا -بدور فعّال- في مقاتلة العدو المشترك، لكن بينما كان ماريوس قد بدأ يطعن في السّن، كان سولا في أوجّ نشاطه قادرا على احراز انتصارات كبيرة، لذلك فاز بقنصلية عام 88ق.م واستطاع أن ينهي الحرب الايطالية[2].

انتهز مثراداتيس فرصة انشغال روما في الحرب الدائرة بينها وبين الحلفاء الايطاليين، وهاجم آسيا عام 88ق.م اكتسح القوات الرومانية بها، ودبّر مذبحة قتل فيها في يوم واحد عدد يتراوح ما بين 80 الى 150 ألف من الرومان والايطاليين وصودرت أملاكهم، وهكذا خسرت روما آسيا، وبات من الضروري لها التخلص من مثراداتيس السادس أسندت مهمة مواجهة هذا الأخير الى سولا[3].

وكان ماريوس يطمح في الحصول على قيادة الحرب في الشرق، وقد أيّده في ذلك تريبون العامة لنفس العام المدعو "سليكوس روفوس" (Rufus)[4] الذي خلا له الجو في العاصمة، فتقدم بمجموعة مشاريع وكان من بينها مشروع يقضي بطرد كل عضو من أعضاء مجلس الشيوخ يتضّح أنه

1- **مثراداتيس**: يثريداتس أو مثراداتيس هو ملك البنتس -وهي منطقة تقع على الساحل الجنوبي للبحر الأسود-، بين عامي 120-63ق.م ولقب العظيم وأيضا بيوباتور، تولى الحكم وهو ابن 12 عام خلفا لأبيه تحت وصاية أمه وخاض بسبب طموحاته التوسعية ثلاثة حروب مع روما، أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة....)، المرجع السابق، ص73.

2- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة....)، المرجع السابق، ص72.

3- محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص191.

4- **بوبليوس سليكوس روفوس**: من مواليد 124ق.م سياسي روماني من العامة كان خطيبا شهيرا وسياسيا عديم الضمير، يبدو أنه كان مناهضا لمجلس الشيوخ ويقال أنه قام بوقاحة وعلانية ببيع الجنسية الرومانية لأولئك الذين لديهم ثروة كافية لتحملها وليس لأولئك الذين تمت الموافقة عليهم، أنظر: زينب بلعابد وخولة بوشامة، **"الصراع الحزبي الروماني ودور الملك النوميدي يوبا الأول في احداثه"**، المجلة التاريخية الجزائرية، مج6، العدد1، 2022، ص88.

مدين بأكثر من ألفي دينار، وقانون آخر يحرم سولا من قيادة الحرب في آسيا ومنح شرف قيادتها لماريوس، وبهذا أعلن معارضته الصريحة لمجلس الشيوخ، وكانت بداية في صراع اثبات الوجود لكل من مجلس الشيوخ وممثلي الشعب، عندئذ كان من الطبيعي أن يلجأ كلا الفريقين الى اتخاذ كافة التدابير لتحقيق مآربهم، فلجأ سولا أولا الى الأساليب الدبلوماسية بما فيها من خداع سياسي، كما أنه سخر الدين لخدمة أغراضه، فادعى يوم انتخاب المشروع بأنه يوم حرام، ولما تكررت المعارضة من سولا للقانون عدة مرات استنادا للحجة نفسها، نفذ صبر روفوس وممثلي الشعب، واضطروا الى مهاجمة سولا للقضاء عليه، لكنه تمكن من الهرب محتميا بمنزل عدوه ماريوس، الذي أواه وأحسن استقباله ولم يسيء اليه بل ساعده على الهرب، وتؤكد الروايات أن سولا عاد الى روما بجيشه منتقما من الجميع، فأحرق المدينة وذبح الكثير من الأبرياء والكثير من الأعداء، وأولهم روفوس الذي قام بتعليق رأسه مفصول عن جسده، عندئذ خاف ماريوس على نفسه وترك روما فارا بجلده الى افريقيا، وبعد انتهاء مدة قنصلية سولا، اتجه الى آسيا للقضاء على مثراداتيس[1].

استغل ماريوس خروج سولا من روما فعاد من منفاه، وحشد جيشا زحف به من الشمال، و"سينا" (Cina)[2] من الجنوب، واقتحم المدينة عنوة، وأعيد سينا الى منصب القنصلية، وألغيت قوانين سولا التي أقرها في فترة قنصليته وصودرت أملاكه، وحرم من حماية القانون، وبدأ ماريوس حركة ارهابية قتل فيها عدد كبير من خصومه أعضاء مجلس الشيوخ، وفي 1 يناير عام 86ق.م تولى ماريوس القنصلية للمرة السابعة، لكن لم يكتمل عام قنصليته حتى وافته المنية في 13 جانفي سنة 85ق.م[3].

أنهى سولا مهمته بظفر نادر المنال، فانه يستطيع الآن العودة الى روما، واستعادة زمام الحكم من الشعبيين، الذين سفكوا دماء أهلها خلال غيابه، وقد أدرك القنصل سينا الذي أعيد انتخابه للمرة الثالثة، الخطر الذي ينتظر حزب ماريوس والشعبيين عامة بعودة سولا على رأس جيش ظافر، وخزينة مترعة بالأموال، فبادر بجمع الجيوش والتأهب للقائه، بل أراد أن يستبق وصول سولا الى

1- ميسون مدحت المرعشلي، **تاريخ الرومان**، دار الاعصار العلمي، الأردن، ص92.

2- **سينا (Cina)**: وهو أحد القناصل الذين عيّنوا عام 87ق.م بعد أن اقتحم سولا روما بالقوة، لكنه كان في جانب الشعبيين وماريوس واستغل ذهاب الاخير الى مهمته، فأعاد قوانين روفوس التي ألغاها سولا ولكن القنصل الآخر استطاع ان يطرده من المدينة بالقوة فانضّم الى صفوف ماريوس، أنظر: زينب بلعابد وخولة بوشامة، المرجع السابق، ص77.

3- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة....)، المرجع السابق، ص76.

ايطاليا بأن يلاقيه على الطرف المقابل للبحر الادرياتيكي[1]، الّا أن الفتنة نشبت بين صفوف قواته، فدفع سينا حياته ثمنا لها[2].

لم ينتظر مجلس الشيوخ وصول سولا، بل بدأ المفاوضات معه أملا في تجنب حرب أهلية جديدة، فاشترط سولا إعادة المنفيين والتعويض عليهم وعليه، من أموالهم التي كان ماريوس قد صادرها، وتم انتخاب قنصلين جديدين هما "سيبيو" و"نوربانوس"، فاعتمد الثلاثة على تأييد السمنتيين لهم ضد سولا، وتابعوا استعداداتهم لمجابهته في ايطاليا.

نزل سولا في برنديزي وتابع مسيره بحذر نحو الشمال، متبعا سياسة تطمين الايطاليين على احترام امتيازاتهم التي حصلوا عليها بموجب قوانين روفوس، ليهدأ مخاوفهم اتجاهه، ورغم ذلك حافظ السمنتيين والآتروريون على تأييدهم للشعبيين، واشتركوا في الدفاع عن حقوقهم بضراوة، نفذ سولا الى منطقة كامبانيا، حيث استطاع هزيمة جيش القنصل نوربانوس، وعندما بدأ القنصل الآخر المفاوضات معه تخلت عنه قواته وانحازت الى جانب سولا، الذي انضم اليه عدد من الارستقراطيين بما فيهم بومبي، أما المعركة الفاصلة التي أنهت الصراع القائم فقد جرت على أبواب مدينة روما وهي معركة بوابة الكولين الدموية، نجح سولا في دحر جموع السمنتيين الذين اندفعوا مع حزب ماريوس نحو مدينة روما لانتزاعها من قبضته، وبالتالي سقطت معاقلهم في ايتروريا، أما كاربو فقد هرب الى افريقيا، وعاقب سولا بقوة متناهية كافة المدن التي ثارت وانحازت الى خصومه[3].

III.الجمهورية بعد الحرب الأهلية الأولى:

1. ديكتاتورية "سولا":

أصبح "سولا" بعد نوفمبر عام 82ق.م سيد الموقف بلا منازع، فشرع على الفور في معاقبة خصومه ومكافأة أنصاره، وحاصر أعدائه الذي يرغب في الانتقام منهم، ودونت أسماؤهم في قائمة نشرت في السوق العامة اشارة الى تجريدهم من حماية القانون، ومصادرة أملاكهم دون اجراء

1– **بحر الادرياتيكي**: أو بحر ادريا أو بحر البنادقة، هو مسطح مائي يفصل شبه الجزيرة الايطالية عن شبه جزيرة البلقان، وهو الذراع الشمالية للبحر المتوسط، للمزيد من الاطلاع أنظر: لويس معلوف، **المنجد معجم مدرسي للغة العربية**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1937، ص30.

2– هشام الصفدي، **تاريخ الرومان** في العصور الملكية الجمهورية الامبراطورية حتى عهد الامبراطور قسطنطين، دار الفكر الحديث، لبنان، 1967، ص242.

3– هشام الصفدي، المرجع السابق، ص246.

محاكمات قانونية، وبيعت كل أملاكهم بالمزاد العلني وحرّم على أبنائهم وحفدتهم ترشيح أنفسهم للوظائف العامة، وكانت نكبة طبقة الفرسان أكبر من نكبة غيرهم، وان كان قد هلك أيضا بعض أعضاء مجلس الشيوخ، ولم تسلم الكثير من المدن من انتقام سولا الرهيب، فصادر أراضيها وحوّلها الى مستعمرات، ومنحها كإقطاعات الى جنوده، كما أعتق عبيد أعدائه الذين قتلوا، فاتخذوا كلهم اسم "كورنيليوس" وهو اسم عشيرة سولا سيدهم الجديد[1].

لقيا القنصلان في عام 82ق.م حتفهما فاختار مجلس الشيوخ بمقتضى الدستور حاكما مؤقتا، ثم أوعز سولا الى هذا الحاكم بتعيين دكتاتور[2]، فانعقدت الجمعية المئوية برئاسة هذا الحاكم، ونصبت سولا في نوفمبر من نفس العام دكتاتورا لمدة غير محدودة، ليصدر التشريعات اللازمة وينظِّم شؤون الدولة، وأقرت بجميع أعماله السابقة وخوّلته سلطة كاملة لاتخاذ ما يراه من الاجراءات الضرورية، والواقع أن السلطات الاستثنائية التي منحت لسولا لمدة غير محدودة جعلته في مركز الحاكم المطلق، وقد تولى سولا الدكتاتورية من أواخر عام 82 حتى أوائل عام 79ق.م، وجمع في عام 80ق.م بين الدكتاتورية والقنصلية وهو ازدواج نادر، وقد أدرك سولا أن الظروف تتطلب اقرار النظام بأي ثمن لحفظ السلام وتدعيم الحكومة والقيام بالإصلاح، ولكنه أقبل على عمله بروح تنمّ عن عدم اكتراثه بالشعب الذي يشرع له، وقد حقق فعلا ما تطلّبته الظروف ولكنه نفذه بالقوة المتسترة تحت قناع دستوري، لذلك لم يبتهج أحد بعمله ولم يشعر الشعب الروماني عامة بأي ولاء نحوه، لقد أمد كثيرا من مرافق الدولة بجهاز اداري رائع، ولكنه لم يمدها بالقوة الدافعة لتسييرها[3].

إنّ ما قام به سولا لا يعتبر اصلاح بالمعنى المتعارف عليه، بل كانت اجراءات ادارية وقائية لإحكام القبضة على السلطة العسكرية، وللإجهاز على أي دور محتمل لأعدائه ممثلي الشعب ومؤيديهم، وكان من تلك الاجراءات:

-إلغاء قوانين روفوس السابقة.

-هدّأ الجماهير الشعبية الغاضبة، بتحديد نسبة الفائدة على الديون 10% فقط، وكان ذلك التخفيض في الفائدة بمثابة ترضية بسيطة للغالبية العظمى من الشعب الروماني الفقير.

1- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...) المرجع السابق، ص81.

2- **دكتاتور**: هو منصب ثانوي يختار صاحبه في الحالات الطارئة ليحل محل القنصلين، ومدة حكمه ستة أشهر، ترجع فيها روما الى الحكم المطلق. أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، (التاريخ الروماني)، المرجع السابق، ص218.

3- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص82، 83.

-عزّز مجلس الشيوخ بإدخال عناصر جديدة اليه أغلبهم من الفرسان، وأعاد للمجلس سلطاته المفقودة، كما منحه حق اختيار حكام الولايات بدرجة نائب قنصل، وأكّد على ضرورة استشارة مجلس الشيوخ قبل سّن أي قانون، وتأهيل أعضائه ثانية للتعيين كمحلفين في جميع محاكم جنايات، وسلب هذا الحق من طبقة الفرسان[1].

-اعاد النظام القديم الذي يخوّل للمجالس والجماعات الكهنوتية حق اختيار أعضائها عن طريق الانتخاب المقصور عليها، وزاد عدد الكهنة والعرّافين الى خمسة عشر[2].

-أعاد العمل بقانون فيليوس الصادر في عام 180ق.م والذي ينص على تقلّد المناصب العامة وفقا لترتيب معين (الكوايستورية فالبرايتورية فالقنصلية)، وضرورة انقضاء سنتين بين وظيفة وأخرى أعلى منها، وتقييد الترشيح لكل وظيفة بسن معينة، ووجوب مضي مدة 10 سنوات بين تولي منصب معين وتوليه هو نفسه مرة أخرى.

-زاد عدد برايتوريين الى ثمانية، والكوايستوريين الى عشرون، وكان اثنان من البرايتوريين وهما البرايتور المدني وبرايتور الاجانب، يعملان كحاكمين في دعاوي المدنية، بينما كان الست الآخرون يرأسون محاكم الجنائية الجديدة، وأما الكوايستوريين العشرون فكان الاثنان منهم يعملان كأمناء للخزانة، واثنان يلحقان بالقنصلين، واحدى عشر بحكام الولايات الرومانية، التي بلغ عددها عشرة، فكان يلحق بكل حاكم كوايستورا واحدا ما عدا حاكم صقلية الذي كان يلحق به كوايستوران، وكانت اختصاصاتهم في الأصل مالية ولكنها تنوعت فصارت ادارية وعسكرية وقضائية أيضا، وكان الباقون موزعين في أربعة مناطق بإيطاليا، وأهمهم من كان يرابط في ميناء اوستيا للإشراف على الاسطول وتموين روما بالغلال[3].

-احتفظ القنصلان بحق تولي قيادة الجيش وادارة العمليات الحربية في ايطاليا، وظلت سلطة الامبريوم القنصلية أعلى من سلطة الامبريوم التي يتمتع بها حكام الولايات مع جواز مزاولتها خارج حدود ايطاليا، لكن انتزع مجلس الشيوخ هذا الحق لنفسه وأصبح له حق اختيار أي شخص يشاء، ليتولى سلطة الامبريوم العسكرية في أي منطقة يحددها له.

---

1 Scullard, **A history of Rom From 133B.C. to 68A.D**, Classics Routledge, London, 2011, P69.

2- هشام الصفدي، المرجع السابق، ص248.

3- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة....)، المرجع السابق، ص87، 88.

-جرّد الرقباء من اعداد قائمة مجلس الشيوخ، ومعنى هذا أنه لم تعد هناك حاجة اليه، وقد لوحظ أن القناصل باشروا مهمة ابرام عقود المشروعات العامة التي كانت من اختصاص الرقباء.

-أنشأ سولا سبع محاكم جنائية دائمة، وكانت كل منها تتألف من عدد معين من المحلّفين يختارون من بين أعضاء مجلس الشيوخ، ويتولى رئاستها برايتور من بين برايتوريين الستة، الذين أسندت اليهم رئاسة هذه المحاكم الجنائية، وبهذا لم تعد العقوبة هي مجرد الالتزام بدفع تعويض عن الضرر أو غرامة تدفع للمجني عليه كما كان الحال في محكمة الابتزاز القديم، بل أصبحت العقوبة بدنية كالإعدام والنفي أو عقوبة مالية تؤدى الى الدولة... الخ، وكانت الاحكام النهائية لا يجوز الطعن فيها بالاستئناف أمام الجمعيات التشريعية بوصفها محاكم شعبية، وبذلك حلّت هذه المحاكم الجنائية الدائمة محل الجمعيتين المئوية والقبلية اللتين فقدتا من الناحية العملية سلطتهما القضائية، وقد ظل القانون الجنائي مستندا الى هذه الأسس التي وضعها سولا وتعتبر نقطة مهمة تحسب له[1].

عندما فرغ "سولا" من تشريعاته خلال عام 80ق.م اعتزل الحكم من تلقاء نفسه في مطلع العام التالي، وسرّح حرسه الخاص وقضي بقية حياته في قصره الريفي بكمبانيا، يمضي الوقت بين الصيد والقنص وقراءة الأدب وكتابة مذكراته، وفي عام 78ق.م توفي وهو في الستين من عمره، وشيّع جثمانه في موكب جنائزي رسمي كبير الى مثواه الأخير.

2.ثورة "لبيدوس" و"سرتوريوس" وبزوغ نجم "بومبي":

بعد انسحاب الدكتاتور "سولا" دون ترك برنامج للعمل السياسي تلتزمه الحكومة الرومانية من بعده عاد الصراع من جديد، سواءً على الصعيد الحكومي أم على المستوى الشعبي، فالقنصل كاتولوس الذي كان ينتمي الى أبناء الطبقة الارستقراطية وكان مخلصا لها، بينما كان زميله "لبيدوس"[2] انتهازيا يسعى للتقرب من الشعبيين، ويأمل في الوصول الى الدكتاتورية وفقا للنموذج الذي ضربه سولا من قبل، أما الشيوخ فقد أملوا بالخلاص من آثار اصلاحات سولا الدستورية التي كبّلت أيديهم، والعودة الى ممارسة نفوذهم السابقة، ولم يكن موقف المحامين ورجال طبقة الفرسان ليطمح

.- Scullard, Op. Cit, P691

2- **ماركوس ايميليوس لبيدوس** (Lepidus): تولى منصب القنصلية سنة 78ق.م بعد وفاة سولا بالاشتراك مع كاتولوس، كان لبيدوس من أنصار ماريوس ولذلك عقب وفاة سولا انقلب على دستوره مستميلا الى جانبه العناصر المتذمرة في ايطاليا من أجل ارجاع السلطة الى نقباء العامة، تزعم حركة الثوار الايطاليين في شمال أترוריا وزحف بهم الى روما مطالبا بالقنصلية ذلك العام، ولذلك أعتبر عدوا لروما من قبل مجلس الشيوخ، أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص104.

أقل من ذلك، الّا أن الدور الحقيقي في مسرح السياسة الرومانية انتقل منذ مغامرة سولا الى يد حفنة من الرجال العسكريين، الذين دفعت بهم الأحداث الى الصفوف الأولى، ولقد اضطرت الحروب الأهلية مجلس الشيوخ للاستعانة بهؤلاء القادة والالتجاء اليهم لإنقاذ روما من الضياع، وقد أدرك بومبي من بعد سولا قيمة المهمات العسكرية كمعبر أكيد الى السلطة والحكم[1].

وبومبي هو "جنايوس بومبيوس" (Gnaeus Pompeius) (أنظر الملحق 3 ص112)بن بومبيوس سترابون الذي شغل قنصلية عام 89ق.م وأحد القادة الذين شاركوا في حرب الحلفاء، وقد شارك بومبي مع والده في العديد منها، وكان يبلغ من العمر سبعة عشر عاما، أول ظهور له في عالم السياسة أثناء حكم سولا، الذي أسند اليه قيادة الجيش عام 82ق.م لمحاربة أتباع ماريوس في كل من صقلية ونوميديا، انّ الانتصار الذي حققه بومبي في تلك المناطق جعله يتمتّع بشعبية واسعة، وبعد عودته من هناك استقبل استقبال الأبطال، بعد أن أرغم سولا بقبول طلبه لإقامة موكب نصر، على إثر ذلك بدأت مظاهر القوة تظهر في تصرفات بومبي ضد سولا، ومنها رفضه تسريح جنوده عقب عودته الى روما، ولخوف سولا من أن يقوم بومبي بحركة تمرد ضده انصاع الأخير الى طلبه، بل ذهب الى أكثر من هذا ومنحه لقب "ماغنوس" (Magnous) الذي يعني الكبير، ولعله أراد بذلك الافادة من قوته في مواجهة الاخطار التي تهدد مجلس الشيوخ وروما[2].

وبالفعل كان "بومبي" ذلك القائد الذي اختاره مجلس الشيوخ ومنحه عام 77ق.م سلطة بروبرايتر (Propraetors) لقمع تمرد "بروتس" (Proteus)، وهو أحد مساعدي "لبيدوس" في بلده موتينا أو مودينا في بلاد الغال، وبعد أن أجبره على الاستسلام توجّه الى انزوريا للقضاء على "لبيدوس" الذي حاول الاستلاء على سردينيا، فتمكن من قتله، وانضم باقي جيشه بقيادة "بربرنا" الى "سرتوريوس" (Sertorius)[3] الذي كان يتزعّم الثورة ضد روما في اسبانيا.

1- ميسون مدحت المرعشلي، المرجع السابق، ص94.

2- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص102.

3- **سرتوريوس (Sertorius)**: هو أحد أقطاب الحزب الديمقراطي قد خدم تحت امرة ماريوس، ثم تولى منصب كوايستور 91ق.م وشارك في حرب الحلفاء، وقد انتخب برايتورا في عام 83ق.م ورشّح حاكما على ولاية اسبانيا القريبة، لكن سولا استبدله بحاكم هزم أنصار الحزب الديمقراطي هناك فاضطر الى الهرب، بكنه عاد بعد مخاطرات عديدة الى اسبانيا ليتزعم هناك، أنظر: بلوتارخ، (تاريخ أباطرة...، مج2)، المصدر السابق ، ص1182، 1183.

ومرة أخرى يظهر بومبي براعته وقدرته اذ رفض تسريح جيشه وطالب مجلس الشيوخ بإرساله الى اسبانيا لقمع ثورة "سرتوريوس" التي امتدت على معظم شبه الجزيرة الايبيرية، واعتبر نفسه الحاكم الشرعي لولاية اسبانيا الدانية، بعد أن تمكن من الحاق الهزيمة بعدد من القادة الرومان الذين ارسلهم مجلس الشيوخ، والذي أثبت ضعفه مرة أخرى، لذا قرر المجلس اللجوء الى بومبي ومنحه سلطة بروقنصلية عام 77ق.م، ليتولى بمقتضاها حكم ولاية اسبانيا الدانية وقيادة الجيش فيها، وبعد معارك عدة استمرت خمسة أعوام (77-72ق.م)، تمكن بومبي من القضاء على سرتوريوس وانهاء الحرب الاسبانية.

ومما ينبغي الاشارة اليه أن اصلاحات سولا الادارية والدستورية التي كانت تهدف الى تقوية نفوذ مجلس الشيوخ، قد نصّت على تقليد المناصب العامة وفقا لترتيب معين -تطرقت اليه سابقا، وأنّ منح بومبي لقب بروبرايتر ثم بروقنصل مع أنه لم يكن عضوا في مجلس الشيوخ ولم يتول منصبا معينا من قبل ذلك، كما أنه لم يبلغ السن القانوني محدد لتولي كلا المنصبين، يعني أن مجلس الشيوخ قد خرق دستور سولا وبهذا جلب الى نفسه خطرا يتضّح معالمه فيما بعد[1].

3. كراسوس وقضائه على ثورة العبيد:

"ماركوس ليكينيوس كراسوس" (Marcus Licinius Crassus) (انظر الملحق 4ص 120) (115-53ق.م) كان أبوه قد تولى منصب القنصلية لعام 97ق.م، وقتل على يد أنصار ماريوس، أما هو نفسه فقد كان أحد قادة سولا، وفي عام 72ق.م تولى منصب برايتور، عرف بطمعه وثراءه الفاحش، وكان يلقب بالغني السمين، وقد وصف بأنه انتهازي يتبع أي وسيلة توصله الى تحقيق مآربه، وكان من أشد منافسي بومبي، وقد بدأت هذه المنافسة منذ أن كان الاثنان يعملان تحت قيادة سولا، فكان يتحيّن الفرصة لإثبات نفسه ومنافسة بومبي الذي برز نجمه بعد انتصاراته المتكررة، فأتته الفرصة[2].

بينما كان بومبي يقاتل سرتوريوس في اسبانيا نشبت ثورة خطيرة بين العبيد في ايطاليا، وقد بدأت الثورة بحركة تمرد قام بها فريق منهم عام 73ق.م في احدى مدارس المجالدين بمدينة كابوا بإقليم كمبانيا، حيث كان العبيد يدربون على المبارزة لتسلية الجماهير في حلبة المصارعة، وتزعّم الحركة عبد

1- أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص53.

2 -بلوتارخ، (تاريخ أباطرة...، مج2)، المصدر السابق، ص1041، 1042.

من تراقيا يدعى "سبارتاكوس" (Spartacus) وآخر يدعى "كريكسوس" (Crixus) وانضم الى جانبهم جمع غفير من العبيد، وتغلبوا على جيشين رومانيين تحت قيادة برايتورين واكتسحوا كمبانيا ولوكانيا ومعظم أقاليم جنوب ايطاليا، ولم ينتهي عام 72ق.م حتى كان عدد الثائرين قد بلغ حوالي سبعين ألف عبد، فوزعوا قواتهم لملاقاة القنصلين اللذين توليا القيادة ضدهما في عام 72ق.م ومني كريكسوس بالهزيمة في ابوليا، فزحف سبارتاكوس نحو الشمال بقصد عبور الألب والالتجاء الى تراقيا، وتبعه القنصلان ولكنه دحرهما الواحد بعد الآخر، واقتحم ولاية غالة القريبة بعد أن هزم حاكمها، غير أن أتباعه من الغال والجرمان رفضوا مغادرة ايطاليا، واستمروا بالسلب والنهب وعادوا الى الجنوب، مخربين في طريقهم الأراضي التي مرّوا بها، وبما أن سبارتاكوس لا يجرؤ على مهاجمة روما فقد عاد هو الآخر الى جنوب ايطاليا[1].

ازاء الفشل الذي مني به قنصلا عام 72ق.م لم يرى مجلس الشيوخ بدّا من أن يعيّن البرايتور كراسوس قائدا على ست فرق، ويمنحه بصفة استثنائية سلطة بروقنصلية لقمع ثورة العبيد، وهكذا اقتضت الظروف وجود قنصل بديل يتولى قيادة جيش في ايطاليا نفسها، وهو ما كان سولا يسعى لتلافيه بأي ثمن، استطاع كراسوس أن يضيق الخناق على سبارتاكوس في أقصى الجنوب الغربي حتى اضطر الأخير أن يستأجر بعض السفن المرتزقة لتنقله الى صقلية ولكنهم غدروا به وأبحروا تاركينه لمصيره، وبعد المساعدة التي تلقاها كراسوس من قبل حاكم مقدونيا هاجم الثوار ودفع بهم الى الوراء وعندئذ وجد سبارتاكوس أن لا مناص من أن يشق طريقه ثانية نحو الشمال، فحاول أن يخترق صفوف جيش كراسوس، ولكنه انهزم في ثلاث اشتباكات وسقط قتيلا في لوكانيا ووقع ستة آلاف من أتباعه في الأسر وصلبوا وعلقت جثثهم في الطريق، وفرّ الباقون الى الشمال، حيث اعترض سبيلهم بومبي الذي عاد وقتئذ من اسبانيا عام 71ق.م، ورحب بقرار تكليفه الانضمام الى كراسوس لسحق بقية الثوار، وبعث بومبي الى مجلس الشيوخ برسالة يفتخر فيها بإنهائه حرب العبيد، وهذه أحد أسباب حقد كراسوس عليه بعد أن نسب هذا الفوز لنفسه[2].

4.قنصلية ماريوس وكراسوس الأولى 70ق.م:

1– عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص 115.

2– نفسه، ص 118.

بعد الانتصارات التي حققها كلا القائدين عادا الى العاصمة وطالبا بترشيح نفسيهما قنصلين لعام 70ق.م، وفي الوقت الذي كان فيه كراسوس مستوفيا لشروط تولي القنصلية، كان ترشيح بومبي معارضا للدستور، لأنه لم يبلغ السن المطلوب والذي نصّ عليه دستور سولا، كما أنه لم يتدرج في المناصب العليا التي تؤهله لتولي ذلك المنصب، وأمام اصرار القائدين على الاحتفاظ بقواتهما على مقربة من روما، وخوف مجلس الشيوخ من استعمالهما القوة في حالة رفض ترشيحهما، فقرر الموافقة على ذلك الترشيح، على أن تحول العداوة الشخصية بين القائدين دون اتفاقهما، ولكن حدث خلاف ذلك، فقد تناسا القائدين ما بينهما من تنافس، بعد أن شعرا بقيود قوانين سولا التي ما زال الشيوخ يتمسكون بها حرصا على المكاسب التي تؤمنها لهم، فاتفق القائدان على توحيد خطواتهما في تأييد الفرسان والشعبيين ضد مجلس الشيوخ لإسقاط قوانين سولا وابطال مفعولها، وابتدأ كل منهما عمله في القنصلية بإصدار قانون مشترك يحمل اسميهما، أعادا فيه الى محامي الشعب حقوقه القديمة التي نالت منها قوانين سولا، وأرجعا للفرسان مركزهم المتفوق في محاكم المحلّفين[1]، كما أعيد العمل بنظام المراقبين وكانت هذه أبرز النقاط التي عولجت.

وبعد انتهاء فترة قنصليتهما قام مجلس الشيوخ بإيفاد بومبي عام 67ق.م قائدا عاما على رأس جيش كبير ومنحه السلطة المطلقة لمدة ثلاث سنوات، ويحق لصاحبها ترشيح ما بين 15-24 ضابطا مساعدا وكل هذه السلطة توضح بجلاء أهمية المهمة الموكلة اليه، كما ساعده الحظ عندما صدر قانون "مانيليوس" أحد نقباء العامة في عام 66ق.م، بإسناد حكم ولايتي "بيثينيا" (Bithynia)[2] و"كيليكيا" (Cilicia)[3] وقيادة الحرب في آسيا الصغرى، ضد مثراداتيس وهكذا أصبح في يد بومبي سلطة عسكرية ليس لها مثيل في التاريخ الروماني كله، تعتبر أول نقطة في تحول الدستور الجمهوري الى الدستور الامبراطوري.

- Scullard, Op. Cit, P 81.1

2- **بيثينيا (Bithynia)**: هي منطقة قديمة في شمال غرب آسيا الصغرى تجاور بحر مرمرة والبسفور والبحر الأسود، وفي الجنوب جاورتها أقاليم فريجيا وغلاطيا، أصبحت بيثينيا مدينة رومانية تغيرت حدودها كثيرا وتم توحيدها لأغراض إدارية مع محافظة البنتس، أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص 65.

3- **كيليكيا (Cilicia)**: اقليم قديم في جنوب شرق آسيا الصغرى بين البحر المتوسط وجبال طوروس، خضع الاقليم للآشوريين والفرس وضمه اسكندر الأكبر لامبراطوريته، وبعد وفاته تنازع عليه البطالمة في مصر والسلوقيين في آسيا، وبعد ذلك ضمه بومبي عام 67-66ق.م، أنظر: نفسه، ص 61.

نجح بومبي أخيرا في القضاء على مثراداتيس عام 66ق.م وتراجنيس في أرمينيا، كما استولى على دمشق في سوريا، وعاد الى آسيا الصغرى عام 64ق.م فأعاد تنظيم شؤونها واتجّه مرة أخرى الى سوريا عام 63ق.م لإعادة الأمن اليها، وواصل سيره حتى فلسطين واستولى على القدس مع نهاية عام 64ق.م، وبهذا زاد من هيبة روما في الشرق وملأ خزائنها، كما أنشأ مدن حرة ومنحها الحكم الذاتي[1].

تمكنت اصلاحات الأخوين جراكوس، ورغم فشلها، من تقليص نفوذ مجلس الشيوخ وهزّ مكانته، لكن هذه الاصلاحات نتج عنها فريقين كل منهما يدعّمه قائد عسكري، فأصبحت روما مسرحا للعراك السياسي والعسكري الذي نتج عنه في الأخير حكما مطلقا، لولا انسحاب سولا الذي أعاد للمجلس قوته وحاول ارساء دعائم الحكم عن طريق دستور يضمن به عدم التفرد بالسلطة من بعده، لكن الأمر جرى عكس ذلك بعد الفشل الذي ظهر على مجلس الشيوخ في مواجهة الأخطار التي أحدقت بالدولة، واسنادهم هذه المهمة لقادة عسكريين يطمحون لكسب المزيد من المجد والشهرة.

1- ميسون مدحت المرعشلي، المرجع السابق، ص99.

الفصل الأول

يوليوس قيصر والنشاط السياسي

اشتهر القرن الأخير من عصر الجمهورية الرومانية بعصر الشخصيات العظيمة، التي ظهرت نتيجة للأخطار الجسيمة التي أحدقت بالدولة، ونتيجة لتضاؤل سلطان هذه الدولة على المواطنين، مما أتاح للأفراد فرصة اظهار قوتهم، حيث اشتدت المصالح تنافرا والصراع أصبح أكثر عنفا فتغير محور الحياة السياسية بدلا من محاولة تطبيق القانون من أجل الاصلاح، أخذت هذه الحياة مظهرا من مظاهر الصراع الحزبي، ووسط كل هذا الاحتدام والتخبط السياسي شق "يوليوس قيصر" طريقه الى الشهرة والمجد، ومن خلال هذا الفصل سأحاول الخوض في معتركه السياسي وارتقائه سلم الوظائف وصولا الى أعلى المناصب وكيف رسم أولى الخطوات نحو نظام امبراطوري ظهرت بوادره في نهاية العصر الجمهوري.

I. شخصية "يوليوس قيصر" (Juluis Caesar):

ارتبط تكوين شخصية "يوليوس قيصر" (أنظر الملحق 5 ص121)بمجموعة من الظروف التي عاشها سواء داخل الاسرة او خارجها من نشأته الى شبابه ولذلك سأتطرق في هذه الجزئية الى كل ما كان له صلة بصقل شخصية "يوليوس قيصر":

1. نشاته:

اختلفت الروايات في تحديد السنة التي ولد فيها "يوليوس قيصر" (Juluis Caesar) بين 102و 100ق.م، ولكن المتفق عليه أنه من مواليد شهر "كويتليس" الذي سمي فيما بعد يوليو تكريما له، وينسب لأسرة تنحدر من ملوك روما القدماء ويزعم ان الاساطير الرومانية تنسبها لـ"فينوس"[1] ربة الجمال والفتنة عند الرومان.

نشأ "يوليوس قيصر" في أسرة محافظة متوسطة الحال من حيث المال، كان "آل يوليوس" من أقدم الأسر واعلاها شرفا، ولد وترعرع في حي سابورة أحد الأحياء قديمة الطراز وسط الشعبيين، ورغم عراقة أسرته الا أنها لم تترك بصمة واضحة في مسار التاريخ الروماني[2].

1 – **فينوس**: آلهة الحب والجمال والرغبة والخصوبة والرخاء والنصر لدى الرومان. للمزيد أنظر: أمين سلامة، **الاساطير اليونانية والرومانية**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021، ص35.

2 – ول وايرل ديورانت، المرجع السابق، ص341.

ويبدو ان العامل الأقوى في تنشئة الطفل "يوليوس" وتربيته على الطموح والمغامرة تمثل في الأم "أوريليا" (Aurelia) التي كانت تشتهر بفصاحتها وفتنتها ومواهبها العقلية في المجتمع الروماني، وقد انعكست علاقة "قيصر" بوالدته وارتباطه بها في نوع من الترف الذي ظهر جليا في اعتنائه الشديد بمظهره، فكان "قيصر" منذ صباه بالغ العناية بملابسه وشعره ويمشطه على نحو خاص، حتى أنه كان محط سخرية من أقرانه، غير انه كان فخورا بذلك لأنه يشعر بأنه يعبر عن ذاته وتفرده، كان ذو وجه جذّاب ومعبّر بشكل فريد؛ حيث لم يكن وسيما بل كان لديه عيون سوداء ثاقبة ووجه شاحب وأنف مستقيم وفم صغير وسيم، نما ببنية جسدية قوية رغم اصابته بالصرع[1].

تأثر "قيصر" ثقافيا وسياسيا بعائلة والدته وأقاربها الناجحين أمثال عمّ أمه "روتللس روفس" الذي اعتنق الفلسفة الرواقية[2]، واشتهر في ممارسته للسياسة بإنكار الذات والبعد عن الظهور وتعرض للاضطهاد على أيدي ساسة الطبقة الرأسمالية المحدثين في روما، كما تأثر بخاله "جايس كوتا" الذي كان من أبرع خطباء زمانه وكان شغوفا بالآداب الاغريقية وفنون السياسة لدى الاغريق، ويحكي "قيصر" كيف كان مولعا بحضور المجالس الأدبية والعلمية التي كان خاله "كوتا" يعقدها مع أصدقائه الطلاب، وكيف كان ينصت لهم بشغف ويتعلم منهم، وكيف كان خاله يشجعه على حفظ الاشعار اليونانية وإطلاق خياله في الشعر والادب، كما تأثر "قيصر" بعائلة والده وأكبر الهامه كان زوج عمته "ماريوس" الذي وصل بمواهبه العسكرية لمنصب قنصل روما فتعلم الفتى من سيرته القوة والبأس والحزم والشجاعة[3].

1 – الحسيني الحسيني معدّى، **يوليوس قيصر رجل كل العصور** حياة أسطورية ونهاية مأساوية، دار الكتاب العربي، دمشق– القاهرة، 2012، ص41.

2 – **الرواقية**: مذهب فلسفي هلنستي انشأه الفيلسوف اليوناني زينون في أثينا ببدايات القرن الثالث قبل الميلاد، تندرج الرواقبة تحت فلسفة الأخلاقيات الشخصية التي تستمد من نظامها المنطقي وتأملاتها على الطبيعة. وفقا لتعاليمها، فإن الطريق الى السعادة يكون بتقبل الحاضر، أنظر: عثمان أمين، **الفلسفة الرواقية**، مطبعة الخط للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1945،ص5.

3 – الحسيني الحسيني معدّى، المرجع السابق، ص42 .

2. تعليمه:

تلقى "يوليوس قيصر" كغيره من أبناء الطبقة العليا في روما تعليما اغريقيا على يد مربّ من بلاد الغال يدعى "ماركوس أنطونيوس جينيو" (Genio)ويقال أنه كان عالما في الأدب الروماني واليوناني على السواء، فقد حرص "قيصر" على اتقان اللغة اليونانية ودراسة آدابها[1] والتدرب على ركوب الخيل وترويضها حتى انه عُرف بالفارس منذ شبابه، كما أنه تدرّب على فنون الحرب والقتال وألعاب الجمباز حتى أنه كان لاعب جمباز ممتاز، حاز على اعجاب أترابه في روما وبدأ يشق طريقه نحو المجد والسلطة، وفي التاسعة من عمره كان قيصر شغوفا بمتابعة سيّر قادة روما وعظمائها حريصا على الموازنة بينهم والتعلم من سيرهم، وفي سنواته الأولى لم يكن "قيصر" محبا لرياضة مصارعة الحيوانات المتوحشة في ساحات روما، منطلقا من فكرة رفض ذبح مخلوقات نبيلة لا ذنب لها لمجرد التسلية والترويح عن النفس، فإنه يحكي عن نفسه كيف كان ينصرف في معظم العروض لما يلهيه عن التطلّع اليها مثل قراءة أو إملاء بعض الرسائل فقد تحول في نظر الشعب الى قائد مجتهد لا يضيع لحظة واحدة في اللهو.

عايش "قيصر" في طفولته وشبابه الباكر جو العنف والشراسة والصراعات السياسية والعسكرية في روما، والخصومات والمكائد، وقد كان الصراع الأول الذي انخرط فيه بقلبه ومشاعره صراع "ماريوس" قدوته مع القائد الروماني "سولا"، وكان "قيصر" بالطبع في جانب "ماريوس"، اذ كان يرى في سولا سياسيا رجعيا معدوم الضمير، كان منزل الأسرة اشبه بمنتدى سياسي خاص وكان للنقاشات السياسية التي تدور فيه دور كبير في تشكيل وعي "قيصر" السياسي، والاطلاع على الأحوال العامة في روما والالتقاء بكبار رجال السياسة في ذلك العصر والانصات اليهم بشغف ويعتبر منزله بمثابة المدرسة السياسية التي تفتح عليها وعي "قيصر" الصبي والمراهق، وكانت الحياة في روما هي المعلم الثاني الذي صقل شخصيته السياسية والعسكرية[2].

1 - أنيس منصور، **الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله**، المكتب المصري الحديث، (د.م.ن)، (د.ت)، ص 65.

2 – الحسيني الحسيني المعدّى، المرجع السابق، ص42.

3.اسم الشهرة:

وردت روايتين فيما يخص اسم الشهرة "قيصر": الأولى ترى ان سبب التسمية هو أن مولده جاء نتيجة لجراحة قيصرية كانت سببا في تسميته باسمه الأول[1]، ولكن هذا الرأي يبدو بعيدا عن الصحة لأن هذا الاسم قد أطلق من قبل على أفراد من اسرته.

وفي رواية أخرى وردت في مقال لأحمد عثمان بعنوان " يوليوس قيصر السعي وراء السلطة" رجّح أن سبب التسمية انه لقب اكتسبه أحد أجداده بعد أن قتل فيلا في الجيش القرطاجي، أي أنه اسم مأخوذ من اللفظ الدال على الفيل في اللغة القرطاجية[2]، وبين هذا الرأي وذاك يبقى الأهم ان الاسم شكّل وصمة في تاريخ روما وتلقب به اباطرة من بعده تيمنا به.

4.المرأة في حياة "قيصر":

رتب والد "قيصر" قبل وفاته -كما يحدث عادة في الأسر ذات التقاليد العريقة- موضوع خطبة ابنه "يوليوس قيصر" من "كوسوتيا" (Cossutia) التي تنحدر من أسرة غنية تنتمي لطبقة الفرسان، فهي لم تكن قط الفرصة الذهبية لشاب مثل "يوليوس قيصر" بأسرته النبيلة ونسبه كواحد من الأشراف له طموح غير محدود، لذلك قام بفسخ الخطبة فور وفاة والده، وبسرعة وبإيعاز وتدبير من عمته "يوليا" تزوج من "كورنيليا" (Cornilia) بنت "سينا" (Cina) -في عام 83ق.م -الذي كان آنذاك في عز قوته ومجده، وكان "قيصر" قد تقلد على يد "ماريوس" منصب كاهن "جوبيتير" (fiamen Dialis) أي كبير الآلهة الرومانية، ومع أنه كان كما هو واضح زواجا ذا أهداف سياسية الا أن "قيصر" بالفعل أعجب بـ"كورنيليا" ولاسيما بعد أن أنجبت له ابنته الوحيدة "جوليا" (Joulia)[3].

ولكن الحال لم يدم بعد انتصار "سولا" في الحرب الأهلية واستلاء الارستقراطيين على السلطة بزعامة "سولا" الذي عيّن نفسه ديكتاتورا لأجل غير مسمى، وأمر كل من "بومبي" و"قيصر" أن يطّلقوا زوجاتهم المنتميات للحزب الديمقراطي، وقد امتثل "بومبي" أما "قيصر" فرفض فأثار غضب

1- ول وايرل ديورانت، المرجع السابق، ص241.

2 - أحمد عثمان، "**يوليوس قيصر السعي وراء السلطة**"، مجلة عالم الفكر، العدد 2، مج16، (د.ت)، ص422.

3 - الحسيني الحسيني المعدّى، المرجع السابق، ص74.

سولا فصادر أموال الزوجة وعزل "قيصر" من كهانة "جوبيتر" ولذلك فرّ "قيصر" الى التلال، كان أثناءها يغير مخبأه كثيرا حتى وقع في احدى الليالي أثناء انتقاله من بيت الى آخر بسبب سوء صحته في أيدي جنود "سولا" الذين كانو يقومون بالتفتيش في تلك الانحاء للقبض على من أفلت من المذبحة، واستطاع "قيصر" إخلاء سبيله بعد تقديم رشوة، وبعد ذلك تدخل بعض النبلاء وعفا الدكتاتور "سولا" عن "قيصر"[1].

وبعد موت زوجته "كورنيليا" أقام لها خطاب تأبين رغم أن العادة جرت أن تلقى خطب التأبين في جنازات النساء الشهيرات المتقدمات في السن، ولم تكن ثمة سابقة في تأبين امرأة صغيرة السن، وبعد وفاتها بسنة تزوج "بومبيا" (Bombia) ابنة حفيدة "سولا" في 68ق.م وان كان هذا الزواج زواجا سياسيا محضا انتهى بطلاق هذه الأخيرة من "قيصر" بعد فضيحة تسبب فيها "بيبليوس كلوديوس" وهو شاب أرستقراطي عمل كجندي عادي في صفوف "قيصر" وكان عاشقا لزوجته، واحتال للوصول اليها بأن تزين بزي امرأة ثم بزي كاهن واشترك في المراسم الدينية التي يقيمها النساء وحدهن الى آلهة طيبة (Bonadea) ثم افتضح أمره ووجهت اليه تهمة الاعتداء على حرمة الآلهة وأسرارها وحوكم في هذه التهمة[2].

وفي سنة 59ق.م تزوج "قيصر" من "كاليبورنيا" (Calibornia)، كانت ابنته "جوليا" أكبر منها سنا، وتصفها المصادر بأنها امرأة متواضعة وخجولة في الغالب، ولدت عام 75ق.م وكانت ابنة "لوسيوس كالبورنيوس بيسو كايسونينوس" القنصل في عام 58ق.م ومات وهي تحت عصمته[3].

ورغم زيجاته لكنه لم يتورع عن العلاقات غير المشروعة، فعبث مع "كليوباترا" في مصر حتى أنه رزق منها بولد سمي "قيصرون" بعد أن أمضى معها عام كامل في مصر[4]، والملكة "اينو" (Eunoe) في نوميديا ومع كثير من النساء في غالة حتى كان جنوده يلقبونه بالزاني الاصلع، وإذا تمّ له النصر في

---

1 - Suetonius, **the live of the twelve Caesars,** volume1, project Gutenberg, 2004, I-8.

2- بلوتارخ، (تاريخ الأباطرة....)، مج3، المصدر السابق، ص ص 1328- 1332.

3- أحمد عثمان، المرجع السابق، ص424.

4 - أيمن أبو الروس، **شخصيات لا ينساها التاريخ**...كليوباترا، دار الهدى، الجزائر، 2015، ص ص30-33.

بلاد الغال أخذ جنوده ينشدون بيتين من الشعر يحذرون جميع الأزواج بقولهم أن عليهم أن يغلقو الابواب على زوجاتهم مادام قيصر في المدينة، وكان الأشراف يحقدون عليه لأنه أفسد زوجاتهم[1].

ولعلّ هذه الظروف قد ساعدت على رفع "قيصر" الى أعلى الدرجات ولعلّها أيضا قد أعانت على سقوطه فقد كانت كل امرأة فاز بحبها له عظيمة النفع وخاصة في معسكرات الأعداء، وقد حافظ معظمهن على وفائهن له حتى بعد أن هدأت عاطفة حبه لهن، ومن جهة أخرى ساهمت في سقوطه (في رواية لم تثبت صحتها) أن "يوليوس قيصر" قد اعتقد أن "بروتوس" (شخصية سنتعرف عليها في الفصول القادمة) كان ابنا له، فقد كانت أمه "سيرفيليا" أخت كاتو (Cato) من الحزب الارستقراطي ووالدة "ماركوس بروتوس" أولى عشيقات قيصر، وقد بدأت هذه العلاقة قبل مولده بسنة، لذا تنادي الكثير من المصادر بأن كلماته الأخيرة التي قالها عنه قبل أن يلقى مصرعه كانت (حتى أنت يا بروتس..... يا بني)[2]. (ولكن هناك مصادر أخرى تحذف هذه الكلمة)

II.علاقة "قيصر" بمجلس الشيوخ:

كان النظام السياسي في الجمهورية الرومانية مرتبط بمجلس الشيوخ، والذي –وكما سبق لي القول–يمثل أقوى الهيئات سلطة ونفوذا في روما، وقد قدّر لـ"قيصر" أن يحيا الفترة الأخيرة من حياة الجمهورية الرومانية، ولأنه كان منتميا لطبقة الأشراف التي تهيمن على المجلس فقد كان الطريق مفتوحا أمامه لعضوية المجلس والمشاركة في إدارة شؤون روما، ولكن كيف كانت علاقة "قيصر" بهذا المجلس؟

1.ميول قيصر السياسي:

كان السيناريو التقليدي لأبناء الأشراف في العهد الجمهوري أن يلتحق الشاب من هؤلاء بالعمل كموظفين حكوميين صغار، وبعد فترات منتظمة حددتها القوانين يصبح من حقهم التقدم لشغل مراكز أعلى، فإذا أظهروا كفاية والتزاما تمكنوا من أن يصبحوا قضاة أو قناصل، وهما أعلى المناصب في روما، هذا حسب ما ورد ذكره في الدستور ولكن الواقع السياسي لم يكن مثاليا، كما يقول "قيصر" عن العقدين الأولين من حياته: "في تلك الأيام لم يكن من السهل على صبي، كما أنه لم يكن من السهل على رجل كامل النمو أن يدرك سريعا ودون وساطة مدى ما كان عليه المجتمع

1 – الحسيني الحسيني معدّى، المرجع السابق، ص81.

2 – نفسه، ص82.

الذي ولد فيه من اضطراب وتميّع وتذبذب...وانزاحت الغشاوة عن بصيرتي فيما كنت أنسبه إلى الدستور الروماني من انصاف"[1].

انضم "يوليوس قيصر" الى المعترك السياسي منذ بداياته حيث كانت عائلة "قيصر" معادية، وبصورة تقليدية لحكم الأقلية المتمثل بمجموعة من الأعضاء النبلاء، فكان في الجانب الديمقراطي المعادي لمجلس الشيوخ ولكن -وكما سبق القول- كان من الأشراف وكغيره من أبناء جلدته ارتقى سلم الوظائف تدريجيا معلنا في كل مرة وفي كل منصب يرتقيه عدائه الصريح لمجلس الشيوخ متغنيا بانتمائه للعامة، وظهر هذا جليا في العديد من المواقف التي بينت انتمائه للحزب الديمقراطي، والتي ظهرت منذ صباه الباكر وأولها تعلقه الكبير بزوج عمته "ماريوس" وبغضه الشديد لـ"سولا"، خاصة وان هذا الأخير بعد ان استتب له الامر أعلن نفسه ديكتاتورا وأعاد لمجلس الشيوخ مكانته، عرض على "قيصر" الانضمام الى الحزب الأرستقراطي شريطة الانفصال على زوجته لأنها من الشعبيين، فرفض "قيصر" وتمّ على مبدأه رغم العقوبات التي تعرّض لها والتي كانت سبب في مغادرته روما وبداية حياته كجندي، ذاق طعم الحرب في الشرق لأول مرة ولبّى نداء الواجب العسكري سنة81ق.م[2].

ولكن بوفاة "سولا" تغيرت الأوضاع في روما فقد عاد "قيصر" وكسب تأييد العامة فانضم الى حزب الشعبي ونادى بعودة المهابة والسلطة الى تريبونية عام 70ق.م، وفي عام 68-67ق.م أرسل الى اسبانيا للعمل كمفتش مالي (Qaester) سمح له هذا المنصب بعضوية مجلس الشيوخ، وقبل ذهابه لمباشرة عمله قام بأول مناوراته ضد مجلس الشيوخ (الحزب الارستقراطي) بعد أن رتّب جنازة رسمية فخمة لعمته "يوليا" أرملة "ماريوس" فاجأ بها الحزب الارستقراطي، اذ كان في مقدمة الجنازة تمثال لماريوس وهو ما كان ممنوعا منذ أن أعلنه "سولا" عدوا للأمة إبان الحرب الأهلية، انتهز "قيصر" الفرصة ليعلن في خطبة التكريم جنائزية لعمته، أصالة أسرته وانحداره من ملوك روما القدماء، وهكذا وطّد علاقته بالحزب الشعبي وأعلن ميوله الصريح ومحاولته لإحياء الحزب الديمقراطي[3].

1- الحسيني الحسيني معدّى، المرجع السابق، ص75.

2 - أحمد عثمان، المرجع السابق، ص424.

3 -Suetonius, loc. cit, VI18-19.

2.مناورات "قيصر" ضد مجلس الشيوخ:

بعد رجوع "قيصر" من مهمته في اسبانيا وجد أنّه في حاجة الى دفعة قوية ليصل الى الصفوف الأولى للحزب وللدولة، ووجد أمامه فرصة نادرة ألا وهي التعاون مع "كراسوس" (Crasos) الثري 66ق.م، في الوقت الذي كان فيه "بومبي" رئيس الحزب الأرستقراطي صاحب السلطات الواسعة بمقتضى قانوني "جابينوس" و"مانيليوس"، لذلك فإن مصير الجمهورية لم يعد متوقفا على ما يقرره مجلس الشيوخ أو الجمعيات الشعبية وانّما على ما يقرره "بومبي" عند عودته من الشرق، وخوفا من أن يعيّن هذا الأخير نفسه ديكتاتورا عند عودته، تحالف "قيصر" مع "كراسوس" لإعداد العدّة لمجابهة عودة "بومبي"، وقد وجد "قيصر" في هذه المحالفة فرصة ثمينة لبناء مستقبله السياسي، ذلك أنّه انتخب ايديليس لعام 65ق.م وبفضل ما استدانه من "كراسوس" شهدت روما من الحفلات والمآدب ما لم ترى له مثيلا من قبل، وزاده محبة بين العامة أنّه أعاد اقامة الانصاب التذكارية لانتصارات "ماريوس"، وهي التي كان "سولا" قد أمر بإزالتها، وهذا ما أربك واثار قلق مجلس الشيوخ من هذا الشاب الذي كان يشّق طريقه بخطى سريعة نحو زعامة العامة[1].

وتبدأ أول مناوراته ضد مجلس الشيوخ كحليف لـ"كراسوس" باستغلال أعضاء مؤامرة أول يناير (مؤامرة كتالينا الأولى)[2]، يصعب قبول ما يزعمه "سويتونيوس" من أنّ مؤامرة أول يناير عام 65ق.م كانت تهدف الى قتل عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ واقامة "كراسوس" دكتاتورا و"قيصر" قائدا للفرسان، وحسبنا حجّة لرفض هذا الزعم أنّ "كراسوس" و"قيصر" كانا اعقل من الاقدام على مثل هذه الخطوة الطائشة التي لم يكن من شأنها الّا اعطاء "بومبي" مبررا مشروعا لاستخدام كلّ قوته للقضاء على كليهما، بيد أنّه اذا استبعدنا اشتراك "كراسوس" و"قيصر" في هذه المؤامرة فإننا لا نستبعد أنّهما كانا على علم بها، وتوحي القرائن بأنّ الأخيرين عملا على الإستفادة من هذه المؤامرة بحماية المتآمرين وتسخيرهم في الاستعداد لمجابهة "بومبي"، وذلك ما يفسّر عدم إجراء

1- سيد أحمد علي الناصري، **تاريخ وحضارة الرومان** من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت)، ص327.

2- **مؤامرة كتالينا الأولى**: حدثت هذه المؤامرة بين بوبليوس وكوتيلوس وكتالينا الذي لعب فيها دورا ثانويا، بعد أن تمّ عزل الاثنين الأولين من منصب القنصلية عام 65ق.م، واختيار اثنين من الأخيار بدلهما لأنهما أدينا بتهمة الرشوة، أعقاب ذلك تكونت المؤامرة لاغتيال القنصلين الجديدين، أنظر: Sallust, **La conjuration catalina**, traduction : Charles Durosore, collection Panchouke, Paris, p XVII-XVIII

تحقيق في المؤامرة وتعيين "بيسو" (Biso)أحد المتآمرين حاكما لولاية اسبانيا الدانية، وتقدّم القنصل "توراكواتوس" لمؤامرة كتالينا في قضية ابتزاز الأموال الّا اذا كان قد حدث تفاهم بين "كراسوس" و"قيصر" من ناحية، وجماعة من أعضاء مجلس الشيوخ من ناحية أخرى، على الحظر من سلطات "بومبي" وقواته كان يتوجب اغفال شأن هذه المؤامرة الفاشلة والاستفادة من مدبريها.

بسبب شدّة العدّاء بين "بيسو" و"بومبي" وبتأثير "كراسوس" عيّن مجلس الشيوخ "الكوايستور بيسو" حاكما لولاية اسبانيا الدانية بمرتبة (Pro Praetore) ان دلّ هذا على شيء انما يدل على أنّ الاثنين أرادا أن تكون تحت إمرتهما قاعدة عسكرية خارجية يمكن الاستفادة منها إذا اقتضى الامر، ولكنهما أساءا الاختيار، فقد كان "بيسو" لا يفتقر الى الخلق القويم فحسب بل أيضا الى الكفاءة والجرأة، ولم يلبث الإسبان أن قتلوه[1].

وبعد فشل "قيصر" و"كراسوس" في انشاء قوة عسكرية خارجية، انتقلوا الى خطة بديلة ألا وهي مشروع تحويل مصر الى ولاية رومانية، وبإيعاز من "كراسوس" تقدّم أحد ترابنة العامة بمشروع قانون يقضي بتحويل مصر الى ولاية رومانية وإسناد هذه المهمة "ليوليوس قيصر"، وذلك فيما يبدو لإتخاذ مصر قاعدة عسكرية ضد "بومبي" عند الحاجة أو على الأقل لإستخدامها في المساومة معه، وتحجّج في هذا الأمر بأن "بطليموس الحادي عشر" (Batlimos11) حوالي 51 ق.م أورث مصر لروما بمقتضى وصية لم تثبت صحّتها كما أنه لم يثبت بطلانها[2].

حاول "كراسوس" اقناع مجلس الشيوخ بالمزايا التي تعود على العامة والفرسان من وراء ضمّ مصر الى روما، واذا كان الارستقراطيون كانوا يتوجّسون خيفة من "بومبي" ويميلون الى كبح جماحه، فلا بدّ أنّهم يخشون كذلك عواقب وضع دولة مثل مصر في قبضة "كراسوس" و"قيصر"، فقد كان الفرسان يرون في "بومبي" أكبر درع يقي صوالحهم من أعمال الشعبيين المتطرفة بل أنه في انتصاراته في الشرق فتح أمامهم مجالات جديدة لإستغلالها فلا بدّ أنهم كانوا لا يوافقون على امر من شأنه تهديد

1 – ابراهيم نصحي، **تاريخ الرومان**، ج2، منشورات الجامعة الليبية، (د.م.ن)، 1972، ص424.

2 – نفسه، ص425.

مركز هذا "بومبي"، ويبدو أنّه إزّاء هذه الاعتبارات تكاتف الارستقراطيون والفرسان في معارضة المشروع معارضة قوية مما أفضى الى عدم الموافقة عليه[1].

كان هناك مشكلة تتعلق بالسكان الذين كانوا يعيشون وراء البو أهالي غالية[2] (Galia Transpadana) وعلى الرغم من أنّ منطقتهم تعد من المناطق المهمة التي كانت تمدّ روما بالجنود الّا أنهم لم يحصلوا على حقوق المواطنة الرومانية، وذلك لكسب ولائهم رغم أن اجراءات المنح غير قانونية بسبب عدم اصدار قانون في هذا الشأن، فقام زميل "كراسوس" في البرايتورية "كاتولوس" بمعارضة هذا الاقتراح، ووقف بكل قوّته ضده وحال دون تنفيذه، حتى أن هذا الخلاف استمر الى غاية انتهاء مدّة حكمه، ويرى البعض أن "قيصر" و"كراسوس" كانوا يريدون من الغاليين القيام بثورة في روما، وهذا بطبيعة الحال رأي مستبعد تماما لأنهم أذكى بكثير من أن يقوموا بهذه الخطوة الساذجة، التي سوف تعطي لـ"بومبي" وقواته العذر للعودة الى روما.

إزاء الفشل الذي مني به "كراسوس" و"قيصر" فما كان منهم الّا أن يبحثوا عن طريقة جديدة يحققان بها أهدافهم السياسية ففي عام 64ق.م تقلّد النقباء العشرة مناصبهم، وكانت هناك عدّة مشاريع لقوانين جديدة وذلك قبل أن ينتخب القناصل، ونشير هنا لانتخابات عام 63ق.م حيث قام "كراسوس" و"قيصر" بتحريك بعض الأشخاص من مناصريهم لتقديم مشاريع لقوانين جديدة، وكان أبرز هذه المشاريع هو حل مشكلة قانون الأراضي الذين تقدم به "بوبليوس سرفيلوس رولوس" (Publus Servilus Rulus) وهذا القانون عبارة عن مشروع يهدف الى إعطاء عدد من الأراضي التي تصلح للزراعة في ايطاليا الى عدد من المواطنين قليلي الدخل، كذلك أعطى الحق بتوريث هذه الأراضي لأبنائها لكنه يمنع عليهم بيعها الى أي شخص آخر، وهذا القانون في الشكل العام ناجح من الناحية الاقتصادية والاجتماعية بسبب أنه يحقق الفائدة التي حدثت لكثير من الأفراد الذين عانوا

1 – أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص69، 70.

2– **البو أهالي غالية**: هو الاسم الذي أطلقه الرومان على المنطقة التي يسكنها الغاليون وهم شعوب كلتية، كانت تمتد على شمال ايطاليا وفرنسا وبلجيكا، كان الغاليون رجال حرب لكنهم لم يكونوا أندادا للرومان الذين هزموهم في القرن الثالث قبل الميلاد وأدخلوهم ضمن رعايا روما، أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص70.

من الأزمة الاقتصادية وخسروا أملاكهم في عهد "سولا" نتيجة المصادرة، بالإضافة الى أنّه يحل أبرز مشاكل روما من جرّاء هجرة الريف[1].

ولكن هناك نقطة مهمة في هذا القانون أن الأراضي الزراعية لا تكفي جميع المستفيدين من هذا المشروع ولذلك كانت هناك توصيات بشراء أراضي جديدة ورصد أموال لتمويل هذا المشروع وتنفيذه، وهنا يبرز الهدف الحقيقي لهذا المشروع، بحيث أن توفير هذه الأموال كان يحتّم على روما بيع ما تبقى من أراضي في ايطاليا وأراضي أخرى حصلت عليها قبل أكثر من عشرين عام، أمثال الممتلكات في صقلية ومقدونيا، وغير ذلك اذ لايسمح القانون بالبيع، فإن هذه الأراضي تؤجّر أو تأخذ عليها ضريبة، كذلك وضعت شروط في هذا القانون بحيث أن القائمين عليه حرصوا كل الحرص على ايعاد "بومبي" من أي لجنة من اللجان المشرفة على القانون.

كانت هناك أهداف أخرى تختبأ في فقرات هذا القانون بحيث أنها تركز على بيع ممتلكات روما الخارجية لإستبعاد "بومبي"، ولكن في نفس الوقت استخدام نتائج فتوحاته في تنفيذ المشروع، وهنا سؤال مهم ألا وهو: كيف يستطيع "بومبي" وجنوده الذين كان تعدادهم أكثر من أربعين ألف مقاتل من أن يحصلوا على أراضي عند عودتهم؟

وهنا يتبين أن أكثر المستفيدين من هذا القانون في حال اقراره هما "قيصر" و"كراسوس"، بحيث أنهما يستطيعان إملاء مختلف الشروط على "بومبي" في حالة عودته الى روما مع جنوده، لكن "شيشرون" قاوم المشروع وبشدّة بعد معرفته لخفاياه ونتائجه الغير جيّدة على روما، وقد ساعده بعض النبلاء والفرسان للضغط على مجلس الشيوخ ومجلس القبائل، وبذلك استطاعوا أن يجعلوا "رولوس" يسحب مشروعه[2].

واذا كانت الهزيمة التي مني بها "كراسوس" و"قيصر" بسحب مشروع "رولوس" قد وضعت حدّا لتدابيرهما لكنّها لم تقلل من عزيمة "قيصر" بل لعلها حفزته على دعم مركزه، ذلك أنّه حدث أن توفي في شتاء عام 64-63ق.م الكاهن الأكبر "كوينتوس متلوس بيوس"، وكان هذا المنصب يمكّن صاحبه من امتيازات عديدة واسعة تكسبه نفوذا كبيرا في الحياة العامة، فإن "قيصر" عقد العزم على

1- أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص71.

2- ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص473-475.

الفوز بمنصب الكاهن الأكبر، ولما كان أحد تشريعات "سولا" قد قضى بأنّ الجماعات الدينية هي التي تختار أعضاءها وكان من المستبعد أن تختار جماعة الكهنة رجلا من طراز "قيصر" عضوا فيها، وبذلك تؤهله للحصول على منصب كبير الكهنة بالانتخابات الشعبية وفقا للعرف المتبع في اختيار الكاهن الأكبر، فإن "قيصر" أوعز لتربون العامة "تيتوس أتيوس لابينوس" (Atius Labienus) فاستصدر قانونا نسخ به تشريع "سولا"، وقضى بالعودة في اختيار أعضاء الجماعة الدينية عن طريق الانتخاب الشعبي، وهي الطريقة التي كان قانون "دوميتوس" (Lex Domitia) قد قررها في عام 104ق.م، ولابدّ من أن يكون قد تبع صدور قانون "لابينوس" اختيار "قيصر" عضوا في جماعة الكهنة ليصبح بذلك مؤهلا لترشيح نفسه لمنصب الكاهن الأكبر، وهو الذي كان عادة لا يسند الى السياسيين المخضرمين[1].

وبالرغم من أنّه ينافس قيصر على هذا المنصب قنصلان سابقان وهما "بوبليوس سرفليوس" و"كاتلوس" أحد قنصلي عام 87ق.م وزعيم مجلس الشيوخ، فإن "قيصر" انتصر على منافسيه انتصارا كاسحا، ويقال أنّه كان للرشوة أثر كبير في ذلك، ولم يلبث "قيصر" أن نجح أيضا بفضل الرشوة في الانتخابات لوظيفة البرايتورية لعام 62ق.م، وبمقتضى منصبه عيّن حاكما على اسبانيا إلّا أنّ أوضاعه المالية كانت في غاية الارتباك مع الدائنية فلم ير بدّا من مراجعة "كراسوس" أغنى أغنياء، فتعهد له بإرضاء أكثر الدائنين الحاحا وسداد جميع الديون التي لم تعد تحتمل التأجيل.

حدث في الشطر الأول من عام 63ق.م حادث عقّد الأمور، اذ تقدّم أحد رجال "قيصر" وهو نقيب العامة لعام 63ق.م واسمه "تيتوس لابينوس" (Titus Labienus) مطالبا بمحاكمة أحد أعضاء مجلس الشيوخ وهو "رابيريوس" (Rabiruis) بتهمة الخيانة العظمى لمسؤوليته عن مقتل نقيب العامة "ساتورنينوس" (Saturninus) عام 100ق.م، والحقيقة أن "رابيريوس" نفّذ قرار مجلس الشيوخ الأخير الذي صدر ضد "ساتورنينوس" في ذلك الوقت والذي خوله سلطة القتل دون محاكمة، واستغلّ "قيصر" هذه القضية بالرّغم من عدم وجود أي عداء بينه وبين "رابيريوس" بهدف مهاجمة مشروعية صدور قرار مجلس الشيوخ الأخير ضد أي مواطن ليخوّل للقنصلين في ذلك الوقت سلطة القتل دون إعطاء الضحية حق الاستئناف أمام الشعب، ولكي يضمن "قيصر" إدانة

1 – سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص323.

"رابيريوس" عمل على عرض القضية على محكمة قديمة ترجع الى أيام الملكية وتتكون من قاضيين، وقد نجح "لابينوس" في استصدار قرار من مجلس القبائل لإحياء هذه المحكمة القديمة واختيار قاضيان، ومن باب السخرية كان هذان القاضيان "قيصر" وأحد رجاله وصدر قرار المحكمة بإعدام "رابيريوس" صلبا، وهنا تدخّل "شيشرون"[1] بسلطته كقنصل فأصدر قرار ببطلان الحكم.

تطّوع "شيشرون" للدفاع عن "رابيريوس" وألقى إحدى خطبه الشهيرة التي تبيّن فيها أنّ هدف "قيصر" هو التهجّم على قرار مجلس الشيوخ الأخير الذي صدر عام 100ق.م وعلى القنصل الذي نفّذه، وأنّ أحد هذين القنصلين كان زوج عمة "قيصر" "ماريوس"، فقد وجد "قيصر" حرجا شديدا في استمرار المحاكمة، فرتّب مع البرايتور "كيلر" (Celer) مسرحية طريفة وهي أن يرفع الراية الحمراء فوق التلال كرمز لفض المحكمة قبل التصويت على التهم، وإذا كانت هذه المحاولة قد فشلت إلّا أنّها حققت نصرا للحزب الشعبي ولـ"قيصر" بالذات[2].

3.رد فعل مجلس الشيوخ على "قيصر":

استخفّ مجلس الشيوخ بتنامي سلطان "قيصر" في مبدأ الأمر مقدرين أنّه ما يلبث أن يتلاشى عندما يخلو وفاضه من المال، في حين كان آنذاك يزداد قدرا ومكانة عند العامة حتى ثبّت نفوذه، ولم يعد في الامكان ازاحته فمال بصورة مكشوفة الى تغيير نظام الحكم كله، وجاء ادراكهم متأخرا بأنّ ليس ثمّ بداية تعد تافهة عندما يقبل عليها بالهمة والدأب المتواصل الى أعلى درجة، وإنّ الاستهانة بالخطر في البداية ستعجله في النهاية ماحقا يتعذر مقاومته، وكان "شيشرون" أول من دخله الشك في غايته وهدفه وهو الاستلاء على السلطة، وتبيّن مزاج "قيصر" التآمري من خلال تفكره برقة الحاشية ولين العريكة وقال في هذا: "لقد تحسست بطموحه الى السلطان المطلق في كل ما أقدم عليه

1- **ماركوس توليوس شيشرون (106ق.م)**: هو الخطيب والسياسي ورجل الدولة الروماني، الذي اشتهر بخطاباته وذكائه وفطنته السياسية التي ظهرت في مختلف الأزمات التي عاصرها بفترة أواخر الجمهورية، كان ينتمي الى طبقة الفرسان، من أشد الكارهين لقيصر، أنظر: أديث هاملتون، **الاسلوب الروماني** في الأدب والفن والحياة، تر: حنّا عبّود، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1997، ص77.

2- سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص332.

من أعمال، لكني عندما أرى شعره مصففا بعناية كبيرة وعندما أتابعه وهو يسوّي خصلاته بإصبع واحدة، لا يسعني الخيل بأنّ في رأس هذا الرجل أفكارا ستؤدي الى تقويض نظام الحكم الروماني"[1].

وكما سبق وتطرقنا له فقد كان "شيشرون" هو السبب الأول في رفض مشاريع "قيصر" لأنّ باستطاعته قراءة ما يدور في عقله، فاستطاع بخبرته قراءة ما بين السطور ومعرفة الغرض الحقيقي من هذه المشاريع، كان هدف "شيشرون" هو الحفاظ على الجمهورية مهما بلغ الثمن، حتى أنّه تصدّى الى أكبر مؤامرة تعرضت لها الجمهورية وهي "مؤامرة كتالينا"، دون اللجوء لمساعدة "بومبي" مما مهّد لقيام الائتلاف الثلاثي بعد أن أرسل" قيصر" لـ"بومبي" رسالة طالبا الرجوع لحل الأزمة، وكان غرض هذا الأخير كسب ود "بومبي" بعد أن رأى أنّ أمر ابعاده غير ممكن، فغيّر الخطة لضّمه في صفه.

وبعد فوز "قيصر" بمنصب الكاهن الأكبر أحدث موجة قلق في نفوس الأشراف وأعضاء مجلس الشيوخ، وخافوا أن يدفع العامة الى كل نوع من أنواع الاعتداء، وانحنى "كاتولوس" و"بيبليوس" منافساه في المنصب باللائمة على "شيشرون" لأنه أتاح له فرصة النجاة في "مؤامرة كتالينا"، بعد أن أتاح هو نفسه للحكومة أعظم فرصة لإدانة "قيصر"[2].

وتفصيل الأمر هو أنّ "كتالينا" لم يكن ينوي من المؤامرة إحداث انقلاب كامل في الوضع السياسي فحسب بل كان يرمي الى بسط سلطانه المطلق على الامبراطور والقضاء على الجميع، وقد هرب قبل أن تجتمع الأدّلة الكافية ضده، وقبل انكشاف أهدافه النهائية انكشافا تاما، على أنّه ترك إثنين من أتباعه لينوبا عنه في العمل ولم يكن ثمّ مايعزز الشّك في أنّهما حظيا بتشجيع "قيصر" ومعاونيه من طرف خفي وكل ما في الأمر أنّ المجلس أدان هذين الشخصين بالإجماع، ثمّ طلب "شيشرون" من أعضاء المجلس أن يحدّدوا شكل العقوبة فارتأى الأعضاء الذين أدلوا بأصواتهم قبل "قيصر" أن تفرض عليهما عقوبة الموت، وحان دور "قيصر" فألقى خطبة جاء فيها أنه ليرى من الظلم أن تنزع حياة شخصين لهما هذه المكانة الرفيعة قبل أن يحاكما محاكمة عادلة وهو أمر غير مسبوق، إلّا اذا كانت هناك ضرورة ملحّة، واقترح أن يحتجزا في أيّة مدينة ايطالية اختارها "شيشرون" حتى تتّم هزيمة "كتالينا" وعندئذ سيتاح للمجلس أن يقرر بروية ما هو مناسب بحقهما فتبنى رأيه هذا

1- بلوتارخ، (تاريخ الأباطرة...)، مج2، المصدر السابق، ص1327.

2 – سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص332.

كل من تلاه، وكاد الذين سبقوه التراجع عن رأيهم الأول، حتى جاء دور "كاتو"[1] للكلام فعارض الرأي وبشدّة، كما أثار في خطابه الشّك حول "قيصر" نفسه وألّح في وجوب تسليم المجرمين الى الجلّاد.

وبينما كان قيصر يهّم بالخروج من مجلس الشيوخ، لحق به جمّ غفير من الشبّان القائمين على حراسة "شيشرون" آنذاك، وجرّدوا سيوفهم وأطبقوا عليه، لولا تدخّل جماعة من مجلس الشيوخ و"شيشرون" نفسه عندما التفت إليه الشباب ينتظرون قضاءه في "قيصر"، أبدى لهم إشارة الكف عنه، إمّا لخوفه من العامة أو لأنه كان يجد في القتل عملا غير شرعي، وعلى أيّة حال فقد تعرض الى اللوم فيما بعد لأنّه لم يستفد من تلك الفرصة الذهبية ويتخلص من "قيصر" وتركها تفلت من يده[2].

وبعد زمن نهض "قيصر" في المجلس يريد تبرئة نفسه من الشكوك التي تحوم حوله فارتفع الضجيج ودوت صيحات استنكار ضده، ودامت الجلسة أكثر من المعتاد، تسبّب ذلك في إحتشاد الجمهور في الخارج وصعودهم الى دار المجلس بجموع عظيمة وأحدقوا به وصاحوا يريدون "قيصر" ويطلبون اسقاط التّهم عنه، فخشي "كاتو" من ثورة تسري بين الفقراء من المواطنين كما خشي أن يضعوا كل آمالهم في "قيصر" فأقنع مجلس الشيوخ بالاسراع على منحهم علاوة شهرية من القمح، وكان وجها من وجوه الصرف وضع الخزينة في حالة عجز كبير إلّا أنّ نجاحه في إزالة خطر الثورة كان عظيما وأضعف نفوذ "قيصر" الى درجة كبيرة، وكان في ذلك الحين يوشك أن يستلم منصب البرايتور ليغدوا أكبر منعة وقوة بحكم منصبه[3].

بعد هذه الحادثة، استغلّ مجلس الشيوخ قضية "كلوديوس" و"بومبيا" (والتي سبق لي التطرق لها) للإنقاص من شعبيته، بعد أن عرضوا "كلوديوس" للمحاكمة، لكن استطاع وككل مرة الخروج منها بسهولة مدافعا عن "كلوديوس" لأنّه رأى فيه الرجل الذي يمكنه الإعتماد عليه، وبهذا أثر مصلحته الشخصية على الدفاع عن شرفه[4].

1- **ماركوس بورسيوس كاتو (95-46ق.م)**: ويعرف بكاتو الأصغر تفريقا عن جده كاتو الأكبر، كان سياسيا بارزا، عاش في الفترة المتأخرة من عهد الجمهورية الرومانية، كان مشهورا بخطاباته، كما أنه يعرف كذلك بعدائه الواسع ليوليوس قيصر، أنظر: ول وايرل ديورانت، المرجع السابق، ص281

2 - بلوتارخ، (تاريخ الأباطرة...)، مج2، المصدر السابق، ص1330.

3 - ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص489.

4 - الحسيني الحسيني معدّى، المرجع السابق، ص114.

بعد أن تسلّم منصبه في اسبانيا أظهر نشاطا جمّا وأخضع العديد من القبائل حتى بلغ المحيط، باسطا سلطان روما على كل تلك القبائل وكان نجاحه العسكري يوازي نجاحه المدني، فقد إهتم بإحلال المودّة والتفاهم بين عدّة دول إقليمية تابعة وأزال الخلافات المحتدمة بين الدائن والمدين، كلّ هذا جعله لايترك إقليمه إلّا وقد خلّف وراءه اسما طيبا وسمعة حسنة، وقد اغتنى وأغنى جنوده فكافأوه بأن أضافوا له لقب الامبراطور.

أربكت وقع انتصارات "قيصر" في اسبانيا مجلس الشيوخ وجعلتهم يفكرون في تثبيط حركته ومحاولة عرقلته بعد أن علموا نيته في الترشّح لمنصب القنصلية لعام 59ق.م، وبعد انهاء مهمته في اسبانيا على أكمل وجه عاد الى روما وأرسل الى مجلس الشيوخ طالبا إقامة موكب رسمي له للإحتفال بالانتصارات التي حققها وترشيح نفسه قنصلا فجاءه الرد بالرفض رغم أنّه حق دستوري، فما كان منه الّا أنّه تغاضى عن حقّه في موكب النصر وحضر الى روما ورشّح نفسه للقنصلية[1].

III."قيصر" قنصل:

1.حصول "قيصر" على قنصلية الأولى:

كانت آمال "قيصر" وهو عائدا الى إيطاليا معقودة على الاحتفال بانتصاره وتولي قنصلية عام 59ق.م، ولما حان موعد الترشيح للقنصلية، وكان دخول "قيصر" لروما عندئذ يستتبع وفقا للعرف والتقاليد حق اقامة موكب انتصاره، فإنّه ظلّ خارج روما وبعث لمجلس الشيوخ ملتمسا السماح له بترشيح نفسه غيابيا ورغم أنه كان من اليسير على مجلس الشيوخ الاستجابة الى مطلب "قيصر" لو أن النبلاء أوتوا أي قدر من الحكمة السياسية العملية، غير أنهم ركبوا رؤوسهم مرة أخرى ورفضوا التماس "قيصر"، إزاء ذلك لم يكن من "قيصر" الّا أن ضحى على الفور بموكب النصر وحضر الى روما ورشّح نفسه[2].

وبفضل مكانة "قيصر" بين الجماهير من جراء الحفلات الباهرة التي أقامها في أثناء توليه منصب الايدلية واستغلال ثروة مرشح آخر مغمور في الدعاية الانتخابية بدا نجاح "قيصر" أمرا مؤكدا، مما حفّز النبلاء على تأييد مرشح من صفوفهم وهو "ماركوس كالبورنيوس بيبليوس" زميل "قيصر" في الايدلية، وتوزيع الرشاوي على نطاق واسع ضمانا لفوز مرشحهم، وبالفعل نجح "قيصر" و"بيبليوس"

1- عبد اللطيف أحمد علي، ،(عصر الثورة...)المرجع السابق، ص172.

2- سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص345.

في الانتخابات القنصلية عام 59ق.م وعندما حان الوقت لتحديد مهمة قنصلي ذلك العام بعد انتهاء مدة حكمهما في الدّاخل، خرج مجلس الشيوخ على العرف المألوف بتحديد ولايتين من الولايات الرومانية يتولى القنصلان حكمهما، وقرر بدلا من ذلك أن تكون مهمتهما بعد انتهاء عام حكمهما الإشراف على الغابات والمراعي العامة في ايطاليا وهي مهمة كانت أليق بكوايستور منها بقنصلين، وكان الهدف من ذلك واضح، وهو حرمان "قيصر" فرصة الحلول على ولاية يحرز فيها من الأمجاد العسكرية ماترفع من شأنه وتلك كانت محاولة صريحة من مجلس الشيوخ لإفهام "قيصر" أن صاحب الأمر والنهي هو مجلس الشيوخ[1].

2.تشريعات "قيصر" في قنصليته الأولى:

أ.قانون الأراضي (Lex Julia Ajaria):

ما إن تولى "قيصر" منصب القنصلية حتى سارع في تنفيذ ما وعد به زميله في الحكومة الثلاثية "بومبي"، فقدّم الى مجلس الشيوخ مشروعا يقضي بتوزيع الأراضي الصالحة للزراعة التي تملكها الدولة خارج إيطاليا، وتوزع ما تحصل عليه بالشراء على جنود بومبي المسرحين وعدد من المواطنين الفقراء، لكن المشكلة التي ظهرت هي أنّ الأراضي العامة في ايطاليا كانت تدر على الدولة أرباحا نتيجة لتأجيرها بعقود طويلة الأجل، وما تبقى منها خارج ايطاليا لا يكفي لسد الغرض لذلك نصّ المشروع على أن تستخدم قسم من عوائد توسعات "بومبي" لشراء مساحات من الأراضي تكون كافية لتغطية هذا المشروع، واشترط على أن لا يتم بيع هذه الأراضي إلاّ بعد قضاء 25 عام، وكذلك يكون سعر شراء هذه الأراضي مطابقا للقيمة المحدّدة في سجلات الاحصاء للدولة الرومانية[2].

يعتبر هذا المشروع احياء لمشروع الأخوين "غراكوس" الزراعي –الذي سبق التطرق اليه– ولكن المشروع قوبل بمعارضة شديدة وخاصة من جانب "كاتو" خصمه اللدود، طرح "قيصر" المشروع على الجمعية القبلية وهناك اعترض عليه بعض نقباء العامة الموالين للحزب الأرستقراطي وكذلك زميله في القنصلية "بيبليوس" والذي كان زوج ابنة "كاتو" حيث حضر للسوق العامة عندئذ رأى "قيصر" أن لا مفر من انتهاك الدستور واللجوء الى القوة للقضاء على المعارضة فاستعان بجنود "بومبي" القدماء على طرد خصومه من مكان الاجتماع بالسوق العامة، وأصبح المشروع قانونا وألزم

1- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)،المرجع السابق، ص172، 173.

2- أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص79.

أعضاء مجلس الشيوخ بحلف اليمين على احترامه، وهنا انكشف النقاب عن الائتلاف الثلاثي وافتضح أمره وعندئذ لجأ "بيبليوس" الذي تحطمت شارات سلطته في السوق العامة الى حيلة أخرى فاعتكف في منزله وأضرب عن الاشتراك في تصريف شؤون الدولة احتجاجا على مسلك زميله، وأعلن أنه يرقب السماء ليستطلع مشيئة الآلهة حتى يعطل الأعمال الرسمية ويبطل تشريعات "قيصر" واكتفى باصدار منشورات يومية لاذعة للتشهير به وتشويه سمعته بين الجماهير، حتى أن هذا العام عرف من باب السخريه أنه عام قنصل واحد وهو "قيصر"[1].

ب.قانون أرض كامبانيا (Lex Julia Campania)

استصدر "قيصر" في أواخر شهر مارس قانونا يكمّل القانون السابق ويقضي بتوزيع الأرض العامة في كمبانيا، ويحدّثنا "ديون كاسيوس" بأن "قيصر" وزّع أرض كمبانيا على المواطنين الذين كان لكل منهم ثلاثة أبناء على قيد الحياة، ويضيف "سويتونيوس" الى ذلك أن عدد أولئك المواطنين بلغ 20.000 و بتأييد من "بومبي" استصدر "قيصر" قانونا قضى بتوزيع الأرض على العامة في كمبانيا، وأنّه تبعا لذلك أنزل هناك حوالي 20.000 مواطن، إنّ أرض كمبانيا وزّعت بين الجنود، لأن المشروع جاء باتفاق "بومبي" مع "قيصر"، فلا بد أن تكون لـ"بومبي" منفعة منه، ولهذا لا نستبعد أن جزء من أرض كامبانيا كان للجنود المسرَّحين[2].

ج.تشريعات أخرى:

الى جانب قانون الأراضي عهد "قيصر" الى مساعده وذراعه الأيمن "بوبليوس فانتيوس" (Publuis Vatinuis) استصدار مجموعة من القوانين، كان أحدهما يسمى (Lex Deactispompeii) والذي بموجبه أقرّت جميع تنظيمات "بومبي" في الشرق، والقانون الآخر يسمى (Lex De Peblicanisasiae) فقد نصّ على تخفيض المبلغ الذي تعاقدت عليه المجموعة التي تقوم بجباية ضرائب آسيا الى مقدار الثلث عن مقداره الاصلي، هذا القانون كان بطبيعة الحال ملبيا لطموحات "كراسوس" وقسم من رجال الاعمال من طبقة الفرسان[3].

1- سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص347.

2- ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص501.

3 - نفسه، ص502.

أما القانون الثالث المسمى (Lex De Ptolemoeo Aulete) فقد نص على الاعتراف بشرعية حكم "بطليموس الثاني عشر"[1] لمصر، بالتأكيد أن ذلك القانون لم يصدر الا بعد ان قدّم "بطليموس الثاني عشر" رشوة كبيرة الى "بومبي" و"قيصر"، وإذا كانت تلك القوانين قد ارضت كل من "بومبي" و"كراسوس" وعدد كبير من طبقة الفرسان، فان "قيصر" اظهر وطنيته من خلال اهتمامه بسكان الولايات، فاستصدر قانونا لمكافحة الابتزاز (Lex Julia De Rependis) والذي وضع به قيود تحد من مطالب حكام الولايات غير المشروعة[2].

لم ينس "قيصر" نصيبه من تلك القوانين التي تحقق له طموحاته، فكان من اهم القوانين التي استصدرها "فانتيوس" مساعده وذراعه الايمن، ويعتبر أهم هذه القوانين لتأثيره في الأحداث القادمة، كان قانون (Lex Vatinia De Provincia Caesaris) قضى بأن يسند الى "قيصر" حكم ولاية غاليا القريبة من الالب، وكذلك لمدة خمس سنوات بداية من شهر مارس عام 59ق.م وأن توضع تحت امرته ثلاث فرق عسكرية، كما يحق له اختيار من يشاء من المستشارين والمساعدين دون الرجوع الى مجلس الشيوخ، بالإضافة الى انّ بإمكانه اقامة أو انشاء اي عدد من المستعمرات، وبهذا ضرب "قيصر" قرارات مجلس الشيوخ عرض الحائط بأن يتولى بعد قنصليته مهمه داخل ايطاليا لا ترقى لمستوى قنصل، كما انّه قضى بذلك على آمالهم في التخلص منه بعد نهاية قنصليته، وهنالك نقطة مهمة أنّ اختيار "قيصر" لهذه المنطقة لم يكن اعتباطيا، انّما يدل على ذكاء شديد وفطنة، بحيث ان اختيار هذه المنطقة بالذات كان اختيارا موفقا لأنّها كانت من أصلح المدن لتجنيدها لأعداد كبيرة من الجنود، بالإضافة الى أنّها من المواقع القريبة من روما نفسها، وهذا ما جعل "قيصر" يضرب عصفورين بحجر واحد، الأول بسبب تجنيده ما يشاء من الجنود وبالعدد الذي يراه مناسبا، والثاني فهو قريب من روما[3].

---

1 – **بطليموس الثاني عشر**: تولى الحكم في مصر بعد مقتل عمه بطليموس الحادي عشر، ولقب بالزمار، اعتبرته روما ملكا غير شرعي لاغتصابه الحكم من روما، وهذا استنادا على الوصية التي نسبت لبطليموس الحادي عشر كما سبق لي القول، عرفت فترته العديد من المشاكل والصراعات، أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص12،13.

2 – عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص 175.

3 – نفسه، ص 176.

وفي هذا الوقت الذي أصدر فيه ذلك القانون توفي "متلوس" وهو حاكم ولاية غاليا ما وراء الألب وكان هذا في بداية عام 59ق.م، وبطلب من "بومبي" أصدر مجلس الشيوخ قانونا يمنح فيه هذه الولاية ايضا لحكم "القيصر" وبذلك زادت عدد الفرق التي تمنح لـ"قيصر" الى أربعه فرق قبول مجلس الشيوخ طلب "بومبي" كان سببه امران الاول هو الخوف من القادة الثلاث وسلطاتهم الواسعة واما الامر الاخر فهو لإثبات وجودهم وقدرتهم على ممارسه السلطة التي قد تضرب عرض الحائط في حاله رفضهم القانون كما سبق ورainا في القانون الاراضي، ومهما يكون الامر فإن موافقة مجلس الشيوخ على اضافه غالي البعيدة على قياده "قيصر" جعلت الاخير يتوسع بالقيادة بالقنصلية والبروقنصلية معا ومكّنه ذلك من ان يحتفظ بالقوات الحربية خارج أسوار روما ومن السيطرة على الموقف السياسي داخل روما نفسها كما ان قياده البروقنصلية جعلته في مأمن من المحاسبة على تصرفاته غير الدستورية اثناء توليه القنصلية[1].

IV.يوليوس "قيصر" ولقب الإمبراطور:

إن تأريخ الامبراطورية الرومانية، بدأ حوالي27 ق.م بعد أن تفرد أغسطس قيصر بالحكم في روما، وتنصيب نفسه امبراطورا، لكن هناك من المؤرخين من يرى أن النظام الامبراطوري ظهر في فترة أسبق من التاريخ المنشود، اذ يعتبرون أن فكرة الامبراطورية جاءت مع يوليوس قيصر –وهي فترة سابقة للآونة التي حددها بعض المؤرخين–، اذ يعتبرون قيصر أول امبراطور، ومنه ظهور فكرة الامبراطور هل فعلا ظهرت في التاريخ المحدد أعلاه؟ أم أنها قد سبقت أوانها؟ هذا ما سنراه في هذا المبحث.

1.معنى امبراطور في الجمهورية الرومانية:

معنى امبراطور في الجمهورية الرومانية كان من ضمن الألقاب الدارجة والذي كان يعني القائد الأعلى وبخاصة القائد الاعلى المظفر، كان الجنود يحيّون به قائدهم بعد انتصاره في المعركة وتسمى "التحية الامبراطورية" (Salutatio Imperatoria) وكان امتيازا يكسب صاحبه الحق في أن تحتفي به الدولة رسميا بإقامة موكب نصر يدخل فيه العاصمة بعد عودته الى ايطاليا على أن حمل اللقب كان موقوتا بمدّة تمتّع القائد بسلطة الامبريوم العسكرية، أي أن يتنحى عن اللقب فور تنحيه عن السلطة، ولم يكن يجوز له أن يحمل اللقب بعد دخوله روما وارتدائه الزي المدني، وقد حمل "قيصر" هذا اللقب

1 – ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 474.

في كل مرة أحرز فيها انتصارا على أعدائه مثلما حمله قبله "بومبي" و"كراسوس" وكثيرون غيرهم عقب انتصاراتهم[1].

غير أن بعض المؤرخين القدامى يزعمون أن "قيصر" قد وافق على الحق الذي خوّله مجلس الشيوخ له باستعمال لقب الامبراطور كجزء ثابت في اسمه مثلما فعل "اغسطس" فيما بعد، فهو الذي استأثر بلقب امبراطور وجعله جزءا ثابتا في اسمه، ومن ثم أصبح رمز السلطة العليا ووقفا على صاحب العرش دون سواه، وبمرور الزمن صار له مفهوم آخر وهو امبراطور بالمعنى الحقيقي، ومن هنا يتبادر الى الذهن العديد من الأسئلة وأهمها مقصد من لقب الامبراطور، هل يقصد به معناه حسب الرومان أم حسب الممالك الشرقية ، ونعني حكم الفرد المطلق الذي كان منبوذ من طرف الرومان منذ آخر ملك "أتروسكي"[2]، وللاجابة على هذه التساؤلات يجب أن أبيّن أولا من طابع الحكم الذي كان ينوي "قيصر" القيام به من خلال مراجعة وظائفه وسلطاته وبعض الامتيازات الملكية أو القرائن التي يستدل منها على نوع الحكم الذي كان ينوي "قيصر" اقامته ومنه تحديد لقبه المنشود[3].

2. مناصبه وسلطاته:

يسود الاعتقاد بين الباحثين بأن "قيصر" لقى مصرعه قبل الانتهاء من اصلاحاته واقامة نظام الحكم الملائم، بعد أن أثبتت الأحداث والتطورات السياسية عدم صلاحية النظام القائم، وبعد أن صدر عن "قيصر" ما ينم بجلاء على أنه كان لا ينوي الابقاء على النظام الراهن ولا اعتزال الحكم، فالكل يقبل اليه من التصريح بأن الجمهورية لم تعد الّا اسما لا جسد له ولا شكل، وأن "سولا" باعتزاله الدكتاتورية أثبت جهله بأولويات السياسية[4].

---

1 – عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)،المرجع السابق، ص331.

2 – **أتروسكيين**: من الشعوب الشرقية التي استوطنت شبه الجزيرة الايطالية، يختلف المؤرخون حول موطنهم الأصلي، اندمجوا مع المجتمعات الرومانية وينسب اليهم الفضل في ايصال المدنية لشبه الجزيرة الايطالية، أسسوا حضارة قوية كان ملوك روما من الاتروسكيين، ولكن في أواخر العصر الملكي وصلوا الى حالة الاستبداد والبطش مما أدى الى انتفاض ضدهم وتغيير نظام الحكم الى جمهوري، أنظر: هشام الصفدي، المرجع السابق، ص ص52 -54.

3- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)،المرجع السابق، ص332.

4 –نفسه، ص 316.

ويبدأ الخلاف بين المؤرخين على أشده حول ماهية نوع الحكم الذي كان "قيصر" ينوي اقامته؟ وهل كان ينوي اقامة نظام حكم ملكي على أنقاض الحكم الجمهوري؟ وفي رأيي أنه لا سبيل الى حسم هذا الخلاف بصورة قطعية، ولعلّ دراستي للمناصب التي شغلها والسلطات والألقاب التي منحت له خلال فترة حكمه القصيرة بعد معركة "تابسوس" في أفريل 46ق.م –سأعرج عليها في الفصل اللاحق–نلقي ضوءً على حقيقة وضعه الدستوري وهدفه السياسي.

اعتمد "قيصر" في حكمه على تأييد الجنود له وخاصة قدماء المحاربين، كما اعتمد على اخلاص نفر من أتباعه الذين ارتبط مصيرهم بمصيره، وكذلك على قوة مسلّحة احتفظ بها شخصيا لحمايته، كما دعّم قوته بأن أمن لنفسه عددا من الوظائف الشرعية وبعض السلطات الاستثنائية والشرفية، وتأتي على رأس هذه السلطات سلطة الدكتاتور، وقد تولى "يوليوس قيصر" الدكتاتورية مرتين عام 49ق.م ومرة عام 47ق.م لمدة عام، ولكن في عام 46ق.م عيّن دكتاتورا لمدة عشر سنوات، وهذا لم يحدث مثله قط في التاريخ الروماني من قبل، ثم ما لبث أن عيّن في العام الذي تلاه دكتاتورا مدى الحياة، وفي نفس الوقت لم يترك "قيصر" ولو لمرة واحدة وظيفة القنصل منذ أن عيّن قنصل عام 47ق.م وظل يقبل شريكا معه حتى عام 45ق.م ثم بعد ذلك حكم كقنصل منفرد (Consul Solus)[1].

اعتبر "قيصر" نفسه زعيما لقضية الديمقراطيين الشعبيين فقد حرص على أن يحتفظ لنفسه بمزايا وظيفة تريبون العامة والتي تعطي حاملها حصانة دستورية مميزة، ولكن من المشكوك فيه أن يكون "قيصر" قد تمتّع بسلطات التريبون كاملة، بالإضافة الى ذلك كان "قيصر" كاهنا أعظم للشعب الروماني منذ عام 63ق.م، وفي عام 48ق.م حصل على كل المزايا الكهنوتية التي كان يتمتّع بها الشيوخ المحافظين، وفي عام 48ق.م عيّن أيضا رئيسا على الأخلاق والسلوك العام تحت اسم (Praefectus Moribus) لمدة ثلاث سنوات وبعدئذ لمدى الحياة، وبفضل هذه المناصب لم يعد في وسع أحد من زملائه من الحكام العاديين أن يعرقل ما يريد اصداره من تشريعات سواء عن طريق الجمعيات الشعبية أم بمقتضى سلطته الدكتاتورية التي تخوله سن القوانين، ذلك لأن الامبريوم الذي منح له كان أعلى من امبريوم غيره من الحكام كالقناصل والبرايتوريين، كما أن سلطته كدكتاتور لم تقع

1 – ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص700.

تحت طائلة اعتراض نقباء العامة رغم أنهم كانوا يمثلون أقوى معارضة لـ"قيصر" أثناء حياته السياسية، وقد كان في وسعه أن يتمتع بالسلطة التريبونية دون أن يكون نفسه نقيبا للعامة[1]

أصبح "قيصر" يعين كبار الموظفين داخل الجمهورية وخارجها كما حصل منذ عام 48ق.م على حق اعلان الحرب وعقد معاهدات السلام دون الرجوع الى مجلس الشيوخ، وفي عام 46ق.م حصل على حق ابداء رأيه قبل أي فرد آخر داخل مجلس الشيوخ، وفي عام 45ق.م حصل على منصب القيادة العامة للقوات الرومانية وحق الاشراف على الميزانية العامة، وفي عام 44ق.م وصل أن ألزم مجلس الشيوخ أن يلتزم مقدما بأي معاهدة أو تصرف يقوم به "قيصر" مستقبلا، كما بدأ الموظفون يقسمون له يمين الولاء قبل تسلمهم مهام مناصبهم ويتعهدون بإطاعة أوامره[2].

أبدى "قيصر" في معتركه السياسي عدواته لمجلس الشيوخ، لكن بعد أن فقد هذا الأخير كل نفوذه وأصبح محل سخرية وازدراء، وصل به الاستخفاف الى حد أنّه كان يحرر المراسيم السيناتورية ويوقعها باسم أول من يخطر على باله من أعضاء المجلس، لم يعد لمجلس الشيوخ وظيفة محددة، فقد كانت كلمتهم الى وقت قريب نافذة في كامل تراب الجمهورية، حيث أعاد "قيصر" تشكيله من جديد بأن طرد منه غير المرغوب فيهم، وأدخل فيه عناصر جديدة سواء من ضباطه القدماء أو من سكان غالة البعيدة، يحسب أنّه ضمن أن مقاعد مجلس الشيوخ كلها موالية له ومن أنصاره، نتيجة تجمع كل هذه الوظائف والسلطات والامتيازات أن أضحى "قيصر" فوق القانون، كما جعل باقي الموظفين في درجة أتباع وحاشية له[3].

3.امتيازاته الملكية:

كان لـ"قيصر" امتيازات جعلت منه ملكا لا حاكما لدولة جمهورية، كما هو معروف أن "قيصر" ينسب الى عائلة من الأشراف نسبت نفسها الى ملوك البالونجا (يقصد بها اللاتين لأن البالونجا مدينة في اللاتيوم)، فلا غرابة اذا كان قد انتعل أحيانا الحذاء الطويل الأحمر الذي قيل أن

1 – عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)،المرجع السابق، ص316.

2 – مونتيسكو، **تأملات في تاريخ الرومان** أسباب النهوض والانحطاط، تر: عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2011، ص109.

3 – نفسه، ص110.

أسلافه من كانوا ينتعلونه، وقد أعطى الحق في أن يزيّن رأسه بإكليل من الغار، وأن يلبس رداء أرجوانيا، وأن يجلس على كرسي مرصع بالذهب والعاج، غير أن هذه الامتيازات لم تكن وقفا على الملوك، اذا كانت تمنح للقائد الذي يقام له موكب انتصار، ولقد أقيمت لـ"بومبي" في نصره الأخير، مما يدل على أنّها كانت من قبيل التكريم فقط، دون أن ترمز الى أي وضع دستوري، ولكنها في أول الأمر كانت قليلة وبعدئذ كثيرة وأخيرا غير محدودة[1].

كما أنّه روى أنّ تمثال "قيصر" وضع في الكابيتول الى جانب تماثيل ملوك روما السبعة، كأنّه الملك الثامن، وأعمق من ذلك أنّه وفي السنة الأخيرة من حياة "قيصر"، قرّر مجلس الشيوخ نقش صورة الدكتاتور على العملة الرومانية الرسمية، وأنّ نقش صور البشر الأحياء على عملة الدولة، كان أمرا لم يعهده الرومان عندهم من قبل، وأنه وفقا للممالك الهلنستية كانت لا تنقش الّا صور ملوكها على العملة، لقد كان أول روماني صك أثناء حياته نقود رسمية حاملة صورته بقصد التداول في روما، لكن ومع هذا لا يمكننا الجزم عن سببها الّا معنى أكثر من الرغبة في اطرائه وتكريمه[2].

وثمة حق آخر تمتّع به "قيصر" يعارض التقاليد الدستورية، فقد منحه مجلس الشيوخ حق إدراج أفراد جدد في طبقة الأشراف، أو بالأحرى الحق في أن يرفع أسرا من العامة الى مصاف الأشراف، هذه النقطة أحدثت خلافا بين النقاد والمؤرخين، هناك منهم من يرى أنّها ضمن مهامه الدستورية بعد أن قلّ عدد الأشراف عن طريق النسب المختلط أو تطلّعهم لمنصب التريبون، فكان لابد من أن تجاري الأمور ويحلها لتنظيم شؤون الدولة الدستور، وهناك من رأى أنه أجاز لنفسه حقا ملكيا، لأن الملوك القدامى وحدهم الذين كانوا يتمتّعون بهذا الحق[3].

كذلك مسألة مكوث "قيصر" في مصر مع الملكة "كليوباترا"، وعودته الى روما بأفكار شرقية دعّمت أقوال المؤرخين الذين يؤكدون على أن "قيصر" كان يريد أن يحوِّل روما الى مملكة، وما زاد من تأكيد هذا الرأي هو دخول "كليوباترا" الى روما بأبهى حلتها حاملة ولدها "قيصرون" الذي لم يثبت لحد الآن مسألة اعتراف "قيصر" به، لكن ما كان ظاهرا على سلوك "قيصر" أنه كان شديد التعلق

1 – ابراهيم نصحي، ص 693.

2 – عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)،المرجع السابق، ص323.

3 – نفسه، ص324.

ب"كليوباترا" ومعتزا ب"قيصرون"، بل انه طلب تصميم تمثال ل"كليوباترا" وهي تحمل "قيصرون" على ذراعها، كانت هذه أحد أسباب مقتل "قيصر"، خشية رومان من أن ينصّب نفسه ملكا و"كليوباترا" ملكة[1].

لا يمكن حقا اثبات ما كان "قيصر" ينوي تحقيقه، لكن كل المؤرخين اتفقوا معه في نقطة أنّ روما كانت في حاجة الى تغيير الحكم الراهن من حكم جمهوري، تحكمت فيه النوازع الانسانية، كما أنهم أجمعوا حتى القلة المعارضة لاتجاه "قيصر"، كما أنّ علاج وجوه الضعف الكامن في نظام الحكم الروماني هو سلوك مسلك الحكم الفردي الاوتوقراطي[2].

V.تأليه "قيصر" ووراثة العرش:

ظهر هذا النوع من العبادة في تقديس البشر في الممالك الشرقية، وبالضبط في بلاد الرافدين على يد الأكاديين وسرعان ما انتقل الى مصر، كان آتوم أول انسان مصري يقوم الشعب بتأليهه، وعند ضم الاسكندر الأكبر مصر تم تأليهه، من قبل المصريين، وبهذا أخذ البطالمة نفس الفكرة، ثم انتقلت الى الرومان وظهرت جليا في عهد أغسطس، لكن السؤال المطروح هنا هو عن بدايات هاته العبادة عند الرومان هل بدأت مباشرة من أغسطس؟ أم أن قيصر هو أول المؤلهين كونه ذا ثقافة شرقية هلنستية؟ وسأحاول الإجابة على هذا السؤال فيما سيأتي.

1.تأليه "قيصر" قبل وفاته:

في طليعة المسائل التي يحتدم الجدل حولها، مسألة تأليه "قيصر" في حياته، وهذه المسألة تتصل اتصالا وثيقا بمركزه في الدولة وبنظام الحكم، الذي كان ينوي اقامته، وتوخيا للموضوعية في عرض هذه

1- أيمن أبو الروس، المرجع السابق، ص56-57.

2- **الأوتوقراطي**: يطلق هذا الاصطلاح على الحكومات الفردية حيث يتمثل الاستبداد في إطلاق سلطات الحاكم الفرد وفي استعماله اياها، ببعض الأحيان تحقيقا لمآربه الشخصية. أنظر: عبد الوهاب الكيالي، **موسوعة السياسة**، ج1، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)، ص382.

المسألة سنسقط من حسابنا النقوش التي عثر عليها في بلاد الاغريق وآسيا الصغرى، ووصف فيها "قيصر" بأنه إله وهذا باعتبارها لا تمثل وجهة النظر الرسمية الرومانية، تبعا لذلك لا يمكن اعتبارها دليلا على تأليه "قيصر" في حياته تأليها رسميا، هذا وان كان من البديهي أنّ وجود مثل هذه النقوش في المقاطعات ينّم على الأقل عن وجود اتجاه قوي في روما نحو تأليه "قيصر".

وأول ما يستوقف النظر هو صورة "يوليوس قيصر" التي نقشت على العملة الرسمية الرومانية، خاصة أنه لم تنقش في روما صور على العملة الّا للآلهة، ويعتبر "يوليوس قيصر" أول من نقشت صورته على العملة الرسمية الرومانية وهو على قيد الحياة[1].

و عن مظاهر التشريف التي أغدقت على "قيصر" قبل وفاته يتبين بجلاء أنه تقرّر تأليه الدكتاتور بل رفعه الى مرتبة كبير الآلهة "جوبيتر"، فأصبح الرومان يدعونه بـ"جوبيتر يوليوس"، كما أن "قيصر" قبل تعيين كاهن خاص له مثل ما هناك كاهن خاص لكل من "جوبيتر" و"مارس".

كما أثبتت المصادر بأنه تقرّر اقامة معابد كثيرة لـ"قيصر"، كما لو أنه إلها، وأنه قبل أن تقام له المعابد والأضرحة، وكذلك التماثيل جنبا الى جنب مع الآلهة، كما أقيم أيضا لـ"قيصر" تمثالان أحدهما في معبد "كويرينوس" والآخر على "تل كابتولينوس" بجوار تماثيل ملوك روما الأسبقين، ويضيف أن هذا التمثال كتبت عليه كلمتان معناهما "الى الاله الذي لا يقهر"، وعندما أقيمت المهرجانات احتفالا بانتصاره في معركة موندا[2] حمل تمثال بجانب تمثال ربة النصر في الموكب الرسمي، كما سمي أيضا شهر "كويتنيوس" وهو الشهر الخامس من السنة حسب التقويم الروماني القديم والذي ولد فيه "قيصر" بشهر يوليو تخليدا لذكراه، والقرار بأن يحلف الناس اليمين بروحه الحارسة والاحتفال بيوم ميلاده،

1 – ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص691.

2 – **معركة موندا**: هي معركة دارت رحاها يوم 17 مارس45 ق.م في جنوب اسبانيا(اليوم الاندلس) بين يوليوس قيصر وبومبي، وتعتبر آخر معركة لقيصر، أنظر:نفسه، ص666.

واعتباره عيدا تقام فيه الصلوات وتقديم القرابين سنويا من أجل سلامته وطول بقائه وتنظيم المهرجانات كل أربع سنوات تكريما له، واضافة يوم من أجله الى كل عيد رسمي كبير تمجيدا له[1].

2.تأليه قيصر بعد وفاته:

انّ مسألة تأليه قيصر في حياته مسألة يصعب الجزم فيها، لكن ومن المؤكد ومن خلال المصادر أنه أُله بعد وفاته، وقد تم تأليه "قيصر" لأول مرة بعد وفاته رسميا؛ حيث تلقى الشعب هذا النبأ بترحاب بالغ وبحماس شديد، وقد أدى هذا التأليه الى حصول "أوكتافيوس" على امتياز نادر، اذ أصبح ابن المؤله قيصر[2]، ويذكر "بلوتارخ" أنه بعد موت قيصر ومن دائرة الصدفة فإن أحد قتلة قيصر فقع نفسه بعين الخنجر الذي استخدمه لقتله، وأبرز الظواهر السماوية التي وقعت في هذه المناسبة هو ظهور مذنب ساطع في كبد السماء طوال الليالي السبع التي أعقبت مصرع قيصر، وبعدها اختفى، ومنها اظلام الشمس حيث استمرّ قرصها شاحبا مغبرا طوال تلك السنة، فلا يبدو بريقها الخاطف عند بزوغها ولا تعطي حرارة قوية كالعادة، ولذلك أصبح الجو رطبا لحاجته الى أشعة أقوى، كما أنه ذكر أن ثمار ذلك الموسم لم تينع بالشكل المعتاد وبدأت الفاكهة تدوي وتتساقط لقلة الحرارة[3]، كلها حجج قدمها بلوتارخ ليبيّن أن أسلافه من الآلهة قد غضبوا لمقتل "قيصر"، كما أنها مجرد صدف حدثت، جعلت من الشعب يتأكد من ألوهيته، وقد استمرت عبادة قيصر عند الرومان لأمد طويل حتى أن بعض الأباطرة أخذوا من لقبه "قيصر" اسما راسخا مع أسماءهم تيمنا بالإله "قيصر"[4].

3.أوكتافيوس أغسطس وخلافة عرش "قيصر":

لم يقم "قيصر" بأي ترتيبات بشأن من يخلفه في مركزه، وأحدث مقتله ذعرا هائلا في روما، وكان المتآمرون يتوقعون أن تؤول السيطرة الى مجلس الشيوخ مرة أخرى، لكن خاب ظنهم لأن الشعب لم يقابل جريمتهم بالترحاب ولأن حزب "قيصر" ظلّ قائما، واقفا لهم بالمرصاد، انعقد مجلس الشيوخ في يوم 17 مارس عام 44ق.م، وكان من الواضح أن أغلبية أعضاءه أيدت المتآمرين، لكن هذه

1 – عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص 332.

2 – دونالد ددلي، **حضارة روما**، تر: فاروق فريد، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص165.

3 – بلوتارخ، المصدر السابق، مج2، ص1370.

4 – نفسه، ص 1371.

الاغلبية كانت تخشى الفرقة العسكرية والمحاربين القدماء لـ"قيصر"، وتولى "أنطونيوس" الذي وضع يده على أوراق "قيصر" وأمواله وزعامة حزبه، وشرع في مفاوضات خصومه وتمّ الاتفاق على العفو عن المتآمرين، في مقابل التصديق على تنظيمات "قيصر" وحتى مشروعاته التي لم تنفذ بعد واقرار وصيته، والاحتفال رسميا بجنازته[1].

وقد ظهر في وصية "قيصر" أنه ترك حدائقه على الضفة اليمنى للتيبر لتكون متنزها عاما، وأوصى لكل مواطن روماني بهبة مقدارها 300 سترتيوس[2]، كما أنه تبّنى "جايوس أوكتافيوس" (Gaius Octavius) ابن "آتيا" أخت "يوليوس قيصر"، الذي كان يبلغ من العمر وقتئذ 18 عاما[3]، وكان عند موت "قيصر" يرابط في مدينة أبولونيا مع الجيش الذي حشد هناك استعدادا للحملة على بارثيا، ولم يستمع "أوكتافيوس" الى والديه وعاد الى روما وطالب بميراثه، ولم يسترح "أنطونيوس" الى عودته لأنه كان قد بدّد ثروة "قيصر" التي أورثها لابنه بالتبني ورفض أن يفي بها، وعندئذ جمع "أوكتافيوس" أمواله عن طريق بيع ممتلكاته الخاصة ودفع للمستحقين نصيبهم طبقا لوصية "قيصر"، وبذلك استطاع أن يكسب وبسرعة رضاء أتباع "قيصر" وازاء معارضة أنطونيوس، لم يتم تنفيذ الاجراءات الخاصة بإعلان "أوكتافيوس" ابنا لـ"قيصر بالتبني" الّا في العام التالي، لكنه بدأ يحمل اسمه "جايوس يوليوس قيصر أوكتافيوس"، وإن كان معاصروه قد أطلقوا عليه اسم "قيصر"، وقد اشتهر فيما بعد عام 27 ق.م بلقب "أغسطس"[4].

يمكنني القول أن "يوليوس قيصر" كان شخصية سياسية فذّة، ليس من السهل ان تتكرر في تاريخ روما، ومن الشخصيات القليلة الذي بقي مستمرا على رأيه رغم الظروف والأحداث التي شهدتها روما آنذاك، واستطاع من خلال عزمه أن يرتقي الى أسمى الأماكن، ولكن تحقيق ذلك لم يكن بالأمر الهيّن اذ مرّ بالعديد من العقبات والحواجز سأتطرق اليها في الفصل.

1- عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص344.

2- **سترتيوس**: هي عملة رومانية فضية وتعد الوحدة النقدية الأصغر حجما وقيمة يرمز له بـIIS، تشير دراسة المسكوكات الفضية الرومانية الى اختفاء التعامل بها مدة من الزمن وما لبث ان عاد للظهور في 104ق.م، أنظر: الهدار خالد محمد، **محاضرات في العملات الرومانية** العصر الجمهوري، ج2، جامعة غار يونس، 2004/2003، ص ص 60-65.

3- ميسون مدحت المرعشلي، المرجع السابق، ص145.

4- David Potter**, the Emperors Of Rome,** Quercus Editions Ltd, London, 2013, pp18-21.

الفصل الثاني:

يوليوس قيصر والحرب الأهلية الثانية

تطرقت في الفصل السابق الى يوليوس قيصر السياسي المحنّك، الذي تمكّن من الوصول الى أعلى مناصب الحكم وتحدّي جميع الظروف برجاحة عقله ومواهبه الخطابية، ولكن ومن غير المعقول أن يصل الى ما وصل اليه عن طريق السياسية فقط دون الاهتمام بالجانب العسكري وخاصة في ذلك العصر الذي عرف بعصر الثورات، والذي فرضت فيه السلطة العسكرية نفسها بعد أن تخلّت روما عن مبادئها الجمهورية وارتباطها بالسلم حتى في أحلك الظروف، وبعد انقلاب الموازين أصبحت القوة العسكرية هي من تحدّد مكانة صاحبها في الدولة. ومن خلال هذا الفصل سأحاول اسقاط الضوء على جانب برع فيه قيصر وهو الجانب العسكري.

I.قيصر وحروب الغال:

أسندت الى "قيصر" القيادة في الولايتين الغاليتين[1] بمقتضى قانون فانتيوس، وكانت غالة التربونية نقطة الارتكاز التي شنّ منها "قيصر" حملاته على بقية بلاد الغال[2]، وكان اخضاع كل بلاد الغال من ابرز إنجازات يوليوس قيصر ومرّ ذلك بست مراحل أدرجها فيما يأتي: (أنظر الملحق 10 ص123)

1.المرحلة الأولى:

كانت بداية المرحلة الاولى في مارس 58ق.م حيث انطلق قيصر الى مقاطعته الجديدة كحاكم على رأس جيش مكوَّن من ثلاث جحافل رومانية، والتي ابتكرها عن طريق المناورات والادارة السياسية لترتيبها ووضعها تحت إمرته، وسأدرج فيما يلي انتصاراته في المنطقة خلال المرحلة الاولى:

---

[1]- يقصد بالولايتين الغاليتين: الاولى تقع في جنوب الألب، وتمتد من حوض البو الى الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الايطالية، وأما غالة البعيدة أو غالة النربونية أو غالة كوماتا (Galia Comata) فكانت تقع وراء جبال الألب، وتشمل المنطقة الساحلية الممتدة حتى جبال البرانس، والأراضي بين الألب ونهر الراين حتى بحيرة جنيف شمالا. أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص181.

[2]- نفسه، ص181.

أ.الانتصار الأول: كان انتصار قيصر على الهلفيتي[1] الذين احتشدوا على الضفة اليمنى لنهر الراين استعدادا لدخول الولاية الرومانية[2]، وبرفضه طلبهم للمرور بأراضيه سلكوا طريقا صعبا عبر الاراضي السكوانية[3] التي كانت تمثل دولة مستقلة على الحدود الرومانية، ودخلوا إقليم قبيلة الايدوي (Aedui)[4] الموالين للرومان، فاستنجدوا بـ"قيصر" لحماية بلادهم، فاتخذ الأخير منها ذريعة للتدخل فزحف لنجدتهم وحدث اشتباك رهيب ببراكي (Bibracte) عاصمة الايدوي أنزل فيها بالهلفيتي خسائر جسيمة الذين لم يجدوا مناصا من التسليم وبناء على طلب الايدوي، سمح قيصر لجماعة من المهاجرين بالإقامة في بلاد الايدوي، وهناك من أعادهم الى موطنهم الأصلي وباع بعضهم كعبيد بحجة أنهم انتهكوا شروط التسليم[5].

ب.الانتصار الثاني: كان انتصار قيصر على الزعيم الجرماني "اريوفيستوس"[6] خاصة بعد ان ناشده قبائل بلاد الغال الوسطى المساعدة، وقد اقتنع قيصر بالمساعدة بعد ازدياد قوته وتدفق الجرمان الكلتيين على الراين فشرع في التفاوض معه، فطلب "قيصر" منه بأن يدع الايدوي وغيره من اصدقاء روما يعيشون في أمن وسلام وأن يوقف هجرة الجرمان، واتخذ قيصر من رفض هذين المطلبين ذريعة لإرغامه على القتال وكانت المعركة في شمال الألزاس وحسمت نتيجتها لصالح قيصر[7].

---

[1]- **الهلفيتي** (**Helvetian**): من أشجع شعوب الغال، دائمي الصراع مع الجرمان. للمزيد أنظر: Botsuick Henry, **Lectures Upon The Portions Of History**, new york :henry ludwig,1838,pp 81_83.

[2]- بيتي راديس، **فتح بلاد الغال**، تر: علي زيتون، ط2، دار علاء الدين للنشر، سوريا، 2007، ص32.

[3]- **السكواني**: من القبائل الغالية الساكنة في ولاية غالة البعيدة، فرضت سيطرتها على تلك المنطقة بمساعدة الجرمان كلفتها تلك المساعدة التنازل عن سهل الألزاس وهي منطقة ثقافية وتاريخية تقع شرق فرنسا وعاصمتها ستراسبورغ. أنظر: ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص589.

[4]- **الايدوي**: قبيلة غالية في وسط غالية البعيدة، دخلت في نزاع مع قبيلة الأرفني، فطلبت مساعدة الرومان، أنظر: راديس بيتي، المرجع السابق، ص32.

[5]- الحسيني الحسيني معدّى، المرجع السابق، ص119.

[6]- **اريوفيستوس** (**Ariovistus**): ملك قبيلة سوبي الكلتية الذي زاد نفوذه بعد المساعدة التي قدمها للايدوي، ثم شكّل خطرا على القبيلتين اعترف به مجلس الشيوخ الروماني في عام 59ق.م ملكا وصديقا للشعب الروماني. أنظر: ريكس وارنر، **يوميات قيصر** مذكرات الفاتح الروماني يوليوس قيصر، تر: شفيق أسعد، دار القومية للطباعة، مصر، (د.ت)، ص27.

[7]- Jacob Abbott, **History of Juluis Casar**, Sany, M Panhwar, 2018, p28.

وتفاديا لمعاودة غزو الكلتيين بلاد الغال رأى قيصر أن على الرومان الدفاع عن حدود الراين وبسط السيطرة الرومانية على غاليا كوماتا او الوسطى، لذلك ترك فرقة تقضي شتاء عام 57/58ق.م في أراضي السكواني، وعبّأ فرقتين جديدتين في غالة القريبة[1].

2.المرحلة الثانية:

أ.الانتصار الاول: بدأت هذه المرحلة بتخطيط "قيصر" للسيطرة على الراين بإخضاع البلجيك[2] الذين مع بعض القبائل الغالية المناهضة للنفوذ الروماني للوقوف في وجه "قيصر" الذي حشد "قيصر" فرقتين جديدتين قادهما الى أراضي السكواني أين ترك جيشه، وخرج باتجاه الشمال في عام 57ق.م وأتاح له تأييد قبيلة الريمي (Remi) له أن يوطّد أقدامه في أراضيهم، وعندما ظهر جيش البلجيك فشل في زحزحة قيصر عن موقعه في عبور النهر، ولم يلبث أن نفذت مؤونتهم وتمزقت قوتهم، فأخذ الجيش في الانسحاب لحرص رجال كل قبيلة على حماية أراضيها فاقتفى قيصر أثر الجيش المنسحب واستسلمت له بعض القبائل.

ب.الانتصار الثاني: بعد استسلام بعض القبائل لقيصر أبت أربعة من اهم القبائل الاستسلام مثل قبيلة النرفي (Nervi) والأوتواتوكي (Atuatuci)، وأصرّت هذه القبائل على مقاومة زحف قيصر ضدها، لكنها نجحت في مباغتته على ضفاف نهر السامبر (Samber) حين أغفل اتخاذ الاحتياطات اللازمة في اثناء انهماك الجيش في اقامة معسكره، وكادت المباغتة أن تصيب "قيصر" بكارثة لولا حسن تدريب رجاله الذين لم يصمدوا فحسب، بل أحرزوا على اعدائهم نصرا كاملا أرغمهم على الاستسلام.

ج.الانتصار الثالث: بعد أن قبل الاوتواتوكي الاستسلام لـ"قيصر" قاموا بهجوم ليلي غادر على الرومان، ولكنهم هزموا وعوقبوا على غدرهم ببيع من بقي منهم على قيد الحياة في سوق النخاسة، وكان عددهم يبلغ 53.000 هذا وقد بادرت القبائل الغالية البحرية التي كانت تقطن نورماندي

---

[1]– ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص596.

[2]– **البلجيك (Belgae)**: قبائل كلتية جرمانية، قدمت الى بلاد الغال بحدود عام 1200ق.م، وقد سيطرت على المنطقة الواقعة شمال نهري السيم والمارن في وسط فرنسا حاليا، وعبرت جماعة منهم الى الساحل الانجليزي واحتلت جزء من بريطانيا. أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص112.

وبريتاني للاستسلام لـ"كراسوس" الصغير الذي كان يقود فرقه ضدها، وهكذا بدا وكأن بلاد الغال الشمالية والوسطى غير ان "قيصر" ادرك أن السيادة الرومانية لم ترتكز بعد على أساس وطيد[1].

3.المرحلة الثالثة:

بعد عودة قيصر من مؤتمر لوكا الذي جمعه ببومبي وكراسوس-سأفصّل فيه فيما بعد- تولى أمر قبائل الفينتي[2] أقوى القبائل البحرية في غاليا كوماتا، جراء إلقاءها القبض على ضباط من فرقة "كراسوس" وهي في رحلتها الاستطلاعية الى بريطانيا في أواخر عام 57ق.م، وذلك شجّع أغلب القبائل في بريتاني ونورماندي على الانقلاب على الرومان، وزاد الموقف خطورة تحفز الكيلت الجرمان للقيام بغزوة عبر المجرى الأدنى للراين.

لذلك اشتبك قيصر مع الفينتي وجيرانهم بريتاني في معركة بمياه المحيط الأطلسي حطّم فيها بعض سفنهم وأسر البعض الآخر، كما أعدم زعمائهم وباع الكثير منهم في سوق العبيد، وكان كعبرة لأي قبيلة أو مجموعة تقوم بالثورة ضد الدولة الرومانية عموما وقيصر خصوصا، كما أرسل مساعده "لابينوس" (Labienus) لحراسة الراين ومراقبة المنطقة الشمالية الشرقية، ونجح "كراسوس" باخضاع الأكويتاني[3] في الجنوب، ونجح "سابينوس" (Sabinus) بسحق قبائل نورماندي[4].

4.المرحلة الرابعة:

أ.الانتصار الاول: واجه قيصر القبائل الجرمانية التي عبرت نهر الراين صوب غرب بلاد الغال في شتاء عام 55/ 56ق.م، وعلى الرغم من انها التمست منه السماح بالإقامة في بلاد الغال، الا انه رفض طلبها بعد ان خرق سفرائهم الهدنة التي عقدها معهم بمهاجمته فرسان قيصر، وزحف بسرعة على أراضيها وأخذها على حين غرّة، وأباد منها في وحشية ألافا كثيرة جدا[5]، حيث يذكر بلوتارخ أن عدد من قتل في هذه الحملة هو أكثر من 400.000 قتيل، وكان من بين الضحايا العديد من

---

[1]- ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص596، 597.

[2]- **الفينتي** (**Veneti**): هي احدى القبائل التي كانت تقطن في اقليم موربيهان في بريطانيا، وهم شعب يجيدون الملاحة البحرية ولذلك تأقلموا مع ظروف محيط الأطلسي القاسية. أنظر: راديس بيتي، المرجع السابق، ص95، 96.

[3]- **الأكويتاني** (**Aquitani**): هو اقليم يقع في الجهة الجنوبية الغربية في فرنسا الحالية بين نهر الجارون وجبال البيرينية. أنظر: راديس بيتي، المرجع السابق، ص ص 103-105.

[4]- عكاشة وآخرون، **اليونان والرومان**، دار الأمل للنشر والتوزيع، (د.م.ن)، 1991، ص194، 195.

[5]- أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص115.

النساء والأطفال بسبب أن هذه القبائل عندما قدمت الى تلك المنطقة جاءت بصحبة عوائلها لأنها كانت تنوي الاستقرار.

ب.الانتصار الثاني: قرٍّ قيصر ان يغزو الجرمان في عقر دارهم وذلك من أجل ارهاب الذين قد تسوّل لهم أنفسهم غزو بلاد الغال، فقام ببناء قنطرة عبر بها الراين وقام بمهاجمتهم ولاسيما أقوى قبائلهم في تلك الفترة وهي قبيلة سوبي (Supi)[1] التي انسحبت ولم تنشأ المواجهة لذلك قفل راجعا الى غالة بعد تحطيم القنطرة بعد انسحابه[2].

5.المرحلة الخامسة:

أ.الانتصار الاول: أعد قيصر حملة لاستطلاع بريطانيا في عام 55ق.م من أجل منع البريطانيين من مساعدة الغاليين الناقمين على الرومان[3]، وفي 25 أغسطس عام 56ق.م أبحر قيصر من بولوني على رأس فرقتين ونزل بالساحل الشرقي لمقاطعة كنت (kent)[4] وقد فشلت في التصدي لقيصر وقدمت له فروض الطاعة، لكن نظرا لتحطم سفن قيصر وتشتت فرسانه بسبب المد غيّرت القبائل رأيها، واستغلت الفرصة لمهاجمة المعسكر الروماني، ولكنهم هزموا هزيمة حاسمة اضطرتهم الى الاستسلام وتقديم الولاء، لذلك قرّر مغادرة بريطانيا وعاد أدراجه حوالي 55ق.م[5].

ب.الانتصار الثاني: قام قيصر في شتاء عام 55ق.م باستعدادات هائلة لغزو بريطانيا من جديد، ورغم انها كانت مغامرة نظرا لعدم ائتمان غدر الغاليين الا انه اضطر لأخذ زعماء منهم ليكونوا بمثابة رهائن تضمن له بقاء الغال على ولائهم له، وقد لقي "دومنوريكس" زعيم الفريق من الايديوي المناهض للرومان حتفه وهو يحاول الهرب من المعسكر الروماني[6]، نزل قيصر في يوليو عام 54ق.م بساحل كنت مرة ثانية على رأس قوة تتألف من خمس فرق غير الفرسان حوالي 30.000 جندي، والتقى بالقوات التي حشدها زعماء كنت وأوقع بها هزيمة على مقربة من كنتر بري (Caneterbury).

---

[1]- **سوبي (Supi)**: قبيلة من أقوى القبائل الجرمانية الكلتية، استحوذت على قسم كبير من الألزاس. انظر: نفسه، ص116.

[2]- بلوتارخ، المصدر السابق، مج3، ص1341.

[3]- أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص116.

[4]- **مقاطعة كنت**: تقع في جنوب شرق بريطانيا على القناة الإنجليزية، وهي من أول المناطق التي احتلها الرومان، وتقع المقاطعة جنوب شرق لندن حاليا، ومركز المقاطعة هي مدينة ميدستون. أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص117.

[5]- ريكس وارنر، المرجع السابق، ص ص88-94.

[6]- راديس بيتي، المرجع السابق، ص128.

ج.الانتصار الثالث: كان ضد "كلاسيفالونس" ملك المنطقة الواقعة شمال النهر الذي اختاره البريطانيون ليقودهم ضد الرومان وعلى الرغم من استعماله أسلوب العصابات الا ان قيصر اخضعه في النهاية وفرض عليه شروطه بتسليم رهائن ودفع جزية للرومان وعاد الى بلاد الغال دون ترك حامية[1].

6.المرحلة السادسة:

أ.الانتصار الاول: استغل الغاليون ذهاب قيصر لبريطانيا وتذمروا بسبب اغتصاب الرومان للحكم وانقضوا على وحدات الجيش الروماني قبل أن تتجمع، بزعامة شخص من قبيلة بلجيكية يدعى أمبيوريكس (Ampiorix)[2] ومع أنه تمكن من تحقيق بعض الانتصارات على القوات الرومانية وقتل البعض من قادتها مثل القائد الروماني كوينتوس تيتروس سابينوس (Quintus Tituruis Sabinus)[3] الّا أنّه لم يستطع المحافظة على انتصاراته، إذ سرعان ما انقض عليه قيصر وتمكن من القضاء على قواته في 53ق.م وردعا للقبائل الغالية المتطلّعة للثورة أقام قيصر محكمة لمعاقبة الزعماء المحرضّين على الثورة، وهكذا خضعت بلاد الغال للسيطرة الرومانية.

ب.الانتصار الثاني: انقضت القبائل في غالة الوسطى أوائل 52ق.م على الموظفين والتجار الرومان المقيمين في البلدة التي تعرف اليوم باسم "أورليان" وذبحوهم، وتولى قيادة هذه الثورة "فرسن جتوريكس" (Vercin Getorix) الذي استغلّ ذهاب قيصر الى روما بعد ان عهد بقيادة الجيش الى "لابينوس"، دعا فرسن القبائل للانضمام الى ثورته التي لقيت قبولا كبيرا، ولم يتمكن لابينوس من أن يحرك ساكنا[4]، وكانت المنطقة على وشك الوقوع في أيديهم لولا ظهور قيصر الذي عبر الألب بمنتهى السرعة، واتجه نحو ناربو عاصمة الولاية وصدّ هجومهم وأبعد خطرهم عنها، وبعد أن قام بتدعيم

---

[1]– ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص603-605.

[2]– **أمبيوريكس (Ampiorix)**: هو ملك قبيلة الأيبورونيين (الذين كانوا يعيشون بين نهر ميوس ونهر الراين) الذي اقتسم المملكة بينه وبين الملك كاتيوفولكوس، وقد عرف ببسالته ومقاومته الشديدة للرومان، حتى أن قيصر كتب عن شجاعته في كتابه عن بلاد الغال. أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص118.

[3]– **كوينتوس تيتروس سابينوس (Quintus Tituruis Sabinus)**: أحد قادة قيصر في الحروب الغالية شارك لأول مرة بقتال قبيلة ريمي، وفيما بعد قاد ثلاثة فيالق لقتال القبائل المتمردة على الرومان في النورماندي، استمر في القضاء على التمردات في غالة لكنه قتل عام 54ق.م في احدى هجمات القبائل الغالية على الجيش الروماني. أنظر: نفسه، ص118.

[4]– عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص193.

تحصيناتها توجه نحو الشمال حيث التقى بقواته المرابطة، في المقابل تفطن "فرسن جتريكس" لقطع التموين على قيصر وجيشه لتفادي المعارك النظامية، وقد نجحت سياسته اذ لحقت بقوات قيصر الهزيمة، غير ان قيصر أعاد الكرة مرة أخرى وبعد مد وجزر، تمكن من محاصرة فرسن جتريكس وقطع عليه طريق الامدادات حتى اضطر الى الاستسلام في عام 52ق.م، واقتيد فرسن جتريكس في موكب نصر أقيم ليوليوس قيصر في روما، وفيما بعد قضى فرسن جتريكس ستة أعوام في السجن وأعدم في نهاية الأمر[1].

كان فشل ثورة فرسن جتريكس ضربة قاضية لثورة الغال الكبرى، الا أن قيصر لم يتمكن من اخضاع جميع من ضده ولم يوطد سيادة روما على بلاد الغال الا بعد مضي عام بأكمله، وجعل من الغاليين حلفاء للرومان على أن يخضعوا إداريا لحاكم ولاية غالة النربونية، ويمدّوا روما بالقوات العسكرية ويدفعوا كلهم أو معظمهم جزية سنوية محددة، وبهذا تكون بلاد الغال بأكملها قد دخلت في كنف أملاك روما.

ويعتبر غزو بلاد الغال حدثا من أهم الأحداث بالنسبة لروما حيث انتهى بجعلها أنفس جوهرة في تاج الإمبراطورية الرومانية، وكما أتاحت الحملة لقيصر الفرصة لتنمية مواهبه العسكرية الفذّة، وتكوين جيش مدرب يدين له بالولاء واقتناء أموال طائلة من الأسلاب والغنائم، مما أعانه على شراء الأنصار في روما ورجح كفّته في النضال السياسي والعسكري المقبل.

II.الحلف الثلاثي:

1.أسبابه:

حقّق كل من بومبي وقيصر جملة من الانجازات التي أغدقت مبالغ ضخمة من الاموال على خزينة الدولة إثر عودتهما، وأنّ توسعاتهما ضاعفت مقدار الجزية السنوية، الّا أنّ مجلس الشيوخ قابل مطالب بومبي بالرفض وذلك كونهم لم ينسوا كيف أرغمهم على سماح له بتولي القنصلية في عام 70ق.م، وحين استغل سلطته كقنصل وفرض دعائم دستور سولا، وحين سخّر اثنين من ترابنة العامة في عامي67-66ق.م ليظفر بسلطات هائلة لم يسبق ان منحت لأحد من قبل، فانتهى عام 61ق.م دون تحقيق شيء من مطالب بومبي التي تمثلت في التصديق على القرارات التي اتّخذها لتنظيم الأوضاع في الشرق، ومنح جنده الذين عاد بهم وسرحهم فور وصوله اقطاعات زراعية وفق القواعد

[1]- ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص609-611.

المتبّعة[1]، وقد حاول بومبي أن يرتبط مع كاتو الصغير برباط المصاهرة كما أنه صفح عن كراسوس وكل ما بدر منه حتى أنّ هذا الأخير عاد بأسرته الى روما بعد أن غادرها خوفا من الانتقام الذي توقع أن ينزله به بومبي[2].

وبالمقابل فصّلت -فيما سبق-موقف مجلس الشيوخ من عودة يوليوس قيصر من إسبانيا والاستفزازات المتتالية التي تعرض لها بداية من الغاء موكب النصر وعرقلة ترشحه لقنصلية عام 59ق.م وصولا الى منحه وظيفة بروقنصلية لا ترقى لمستوى وظيفة برايتور.

كذلك اتخذ كراسوس وطبقة الفرسان موقفا من مجلس الشيوخ، وذلك ان ملتزمي الضرائب كانوا قد تعاقدوا مع الحكومة على تحصيل ضرائب ولاية اسيا، ثم تبين لهم انهم لن يستطيعوا جباية المقدار المتفق عليه للخزينة بسبب قلة المحصول، فحاولوا تعديل شروط العقد لتخفيض القيمة المطلوبة وايّدهم كراسوس في ذلك، لكن مجلس الشيوخ رفض التعديل في ماي من عام 60ق.م بإيعاز من كاتو، وكان رد قيصر على كل هذا أنّه دعا لقيام تكتل وائتلاف من القادة الساخطين على مجلس الشيوخ وهم مومبي وكراسوس[3].

2.قيام الحلف الثلاثي الأول وانطلاق اشغاله:

دفعت تصرفات النبلاء من اعضاء مجلس الشيوخ كل من قيصر، بومبي وكراسوس الى التحالف سويا، فنشأ بينهم ما يدعوه بعض الباحثين باسم الحكومة الثلاثية الاولى تمييزا له على التحالف الرسمي الذي ابرم في 43ق.م والذي صدر تشكيله بقانون خاص وتألفت بموجبه الحكومة الثلاثية الثانية، ويطلق الكتاب القدامى على التحالف الذي بدا سريا اسم تحالف القوة احيانا كما يطلقون عليه اسم المؤامرة او الطغيان[4].

اتفقت أطراف الحلف على استخدام نفوذها لإنجاح قيصر أثناء ترشحه لقنصلية عام 59ق.م مقابل أن يعمل بسلطته وبنفوذه وبالقوة لو استدعى الامر على الحصول على موافقة مجلس الشيوخ

[1]- سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص346.

[2]- سامي سعيد الأحمد، **تاريخ الرومان**، مكتبة المهندسين الاسلامية، بغداد، (د.ت)، ص105.

[3]- محمد عواد حسين، **"الثورة الرومانية المرحلة الثالثة الصراع بين بومبي وقيصر حتى الحرب الأهلية"**، مجلة عالم الفكر، العدد 3، مج12، ص115.

[4]- الحسيني الحسيني المعدى، المرجع السابق، ص111.

بتوزيع الأراضي على جنود بومبي المسرحين، وتأمين الحصول على قرار بتخفيض الأموال المقررة على جباية الضرائب الرومان وهو مطلب كراسوس ورفاقه.

اختلف الباحثون في موعد تكوين الحلف الثلاثي قبل ظهور نتيجة الانتخابات القنصلية في 59ق.م، أما يراه البعض الأخر من انه تكون بعد ظهور هذه النتيجة، كان قيصر العقل المدبر في هذا التحالف ورئيسه الحقيقي، وقد حاول قيصر ضم شيشرون لهذا الاتفاق نظرا لقدراته الخطابية ومكانته الكبيرة لكنه فشل في ذلك بسبب تمسكه بالقواعد الدستورية والنظم الجمهورية[1].

حقّق التحالف أهدافه حيث تولى قيصر القنصلية في عام 59ق.م وبالمقابل وفى بوعده الذي قطعه لحليفيه باستعمال القوة وإخضاع المعارضة، وقبل أن يستلم قيصر مهمته البروقنصلية في بلاد الغال ارتأى أن يتخذ من الخطوات ما يكفل اطمئنانه على الأوضاع أثناء غيابه عن روما فزوج ابنته جوليا (Julia) من بومبي، فكان ذلك الزواج سببا في استمرار علاقات الود والتحالف بين قيصر وبومبي[2].

وكان الحلفاء الثلاثة قد اتفقوا على أن يتولى القنصلية في عام 58ق.م كل من "جابينوس" وهو أحد قادة بومبي الكبار و"كالبورنيوس بيسو"، الذي ارتبط به قيصر برباط وثيق حتى يضمن إخلاصه له فتزوج من ابنته "كاليبورنيا"، وخصص لهما ولايتين سوريا لـ"جابينوس" ومقدونيا لـ"بيسو"، كما عيّن قيصر "كلوديوس" تريبون موالي له لتمرير المشاريع والتحكم في زمام الأمور، خاصة وانه يكّن حقدا شديدا لشيشرون الذي شهد ضده في قضية أتّهم فيها بانتهاك حرمة الشعائر الدينية[3] ــالتي سبق وعرّجت عليهاــ.

وقد استطاع الحلف تقوية مكانته بجمع الطبقة الشعبية حوله؛ فقد أصدر كلوديوس قرارا يقضي بأن تتنازل الحكومة عن المبلغ الرمزي الذي يتم دفعه مقابل الحصول على الحصة المقررة من القمح شهريا[4]. كما عمل على القضاء على المعارضين مثل شيشرون؛ فقد أصدر كلوديوس عرض

---

[1]– عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص172.

[2]– محمد عواد حسين، (المرحلة الثالثة....)، المرجع السابق، ص117.

[3]- Dio Cassuis, **Roman History**, Transalation: Herbert Balduin, Foster, New York, pp11-15.

[4]– بلوتارخ، المصدر السابق، مج3، ص1335.

قانون على مجلس القبائل للتصويت عليه في عام 58ق.م والذي يقضي بنفي كل من أعدم مواطنا رومانيا من غير محاكمة، وبهذا تم ما أراده قيصر ونُفي شيشرون لأنه أعدم متآمرين من غير أن تتم محاكمتهم، وكان ذلك غير مشروع، وبهذا صدر القانون على شيشرون الّا يسكن في أي مكان قرب ايطاليا، أما كاتو فقد اقترح عليه ان يكون واليا على قبرص بعد ضمها، وبذلك تم ابعاده ولم يرجع الى روما الى غاية عام 56ق.م[1].

3.توتر العلاقات بين الحلفاء:

ما كاد قيصر يغادر ايطاليا حتى بدأ النزاع يدب بين زميليه في الحلف الثلاثي نظرا للعداوة القديمة بينهما، حيث لم ير أي منهما ما يبرر استمرار التحالف بعد أن حقق كل منهما أغراضه، وزادت هوة الاختلاف بينهما خاصة ان كراسوس كان يعمل دائما على الحط من قدر بومبي والانتقاص من شأنه، في الوقت الذي بدأ فيه بومبي بالشعور بانصراف الناس عنه، فأراد أن يصفي الجو بينه وبين الحزب الأرستقراطي، ويسترضي شيشرون لشعوره بالخجل من موقفه نحوه وسكوته على نفيه فأخذ يسعى لإعادة الخطيب من منفاه، لذلك بدأ كلوديوس يهاجم بومبي كل ما ظهر في المناسبات العامة، ويوعز الى رجاله بالسخرية منه حتى اضطر القائد الكبير أن يلزم بيته[2].

ولأن كلوديوس كان خلفا لقيصر الذي غادر روما حتى انه اصبح هو صاحب الكلمة العليا فيها، وهذا ما لم يتقبله بومبي وبدأ يشعر بخيبة الأمل من وقوفه ساكنا امام نفي صديقه شيشرون، فقرر بومبي التزام الحياد مع مسانده ميلو أحد ترابنة العامة، وشجّع هذا الأخير على مقابلة العنف والقوة بمثلها وساعده على تكوين عصابات من المجالدين تستطيع التصدي لعصابات كلوديوس، فشهد نفس العام استدعاء شيشرون من منفاه، فقد كان أحد القنصلين وأحد الترابنة الجدد صديقين حميمين لشيشرون، وكان بومبي يريد عودة صديقه من المنفى، ولذلك زار جنده المسّرحين في كابو ودعاهم لمساعدته، اذا لزم الأمر تم تقدم أحد القناصل الى مجلس الشيوخ بمشروع قانون يقضي

[1]– عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص170.
[2]– محمد عواد حسين، (المرحلة الثالثة....)، المرجع السابق، ص122، 123.

بالسماح لشيشرون بالعودة من المنفى فوافق أعضائه بالإجماع ماعدا كلوديوس، والذي برغم التهديدات التي أطلقها وأعمال العنف والشغب التي دبرها[1].

وإثر عودة شبشرون ببضعة أيام نزلت بروما أزمة غلال شديدة دفعت الجموع الى التظاهر حول مجلس الشيوخ وتهديد أعضائه بالقتل وإحراق المباني العامة، فتقدم شيشرون بقانون يقضي بتعيين بومبي مشرفا على التموين لمدة خمس سنوات مع منحه السلطة البروقنصلية تعطيه حق الرقابة على الأسواق وعلى تجارة القمح في جميع أرجاء الجمهورية، وكذلك سلطة شراء أي كمية من الغلال وتوفير السفن اللازمة لنقلها الى روما مع تخصيص الميزانية اللازمة لها، وقد وافق مجلس الشيوخ على المشروع لأنهم أرادوا ترضية بومبي ليكون رجلهم وكانت خطتهم هي تحطيم تحالف الثلاثي بإغراء بومبي بمزيد من السلطات[2].

امتلئ قلب كراسوس بالغيرة من السلطات التي منحت لبومبي لتخليص روما من أزمة الغلال، فنافسه منافسة شديدة للفوز بمهمة إعادة بطليموس الزمار الى عرشه في الاسكندرية بعد ان لجأ الى روما هاربا من شعبه الذي سخط عليه لتنازله عن جزيرة قبرص للرومان، وهكذا بدأت الهوة تتوسّع بين كراسوس وبومبي وقيصر، الذي ورط بومبي في عملية إبعاد صديقه شيشرون عن روما وهكذا بدأت الخطوة الأولى نحو تفكك الحلف الثلاثي.

4.محاولة التوفيق بين الحلفاء:

أ.مؤتمر لوكا (Luca) 56ق.م:

كانت أسباب انعقاد مؤتمر لوكا (في شمال اترورريا) منها الاسباب الداخلية والتي تلخصت في الطموحات والغرور والغيرة بين الأعضاء الثلاثة قيصر وبومبي وكراسوس، أما الاسباب الخارجية فتتمثل

[1]- سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص248، 249.

[2]- محمد عواد حسين، (المرحلة الثالثة....)، المرجع السابق، ص124.

في تصريحات لوكيوس دوميتوس أهنوباربوس[1] (Lucuis Domitus Ahenoparbus)، قد بدأ بحملته الانتخابية، ليتمكن من الفوز بالقنصلية لعام 55ق.م، والذي جهر علنا أنه في حال فوزه سوف يستخدم سلطته لحرمان قيصر من ولايته على بلاد الغال، فرأى قيصر ضرورة إعادة الروح الى الحلف الثلاثي.

أرسل قيصر في 56ق.م الى بومبي وكراسوس يدعوهم إلى لقاء سري لغرض إعادة النظر في استراتيجية شراكة جديدة، وتجديد التحالف السياسي بين أعضاء الحكومة الثلاثية، والتطلع لما يمكن عمله في الأيام اللاحقة، والاتفاق على مجموعة من القرارات التي سوف تغير مجرى الأحداث، لذلك قام قيصر بإرسال الهدايا الى عدد من حكام الولايات الى جانب مجموعة من أعضاء مجلس الشيوخ، وكان حريص كل الحرص على إبلاغ رجال الدولة وسياسيها وبقية الناس أن الحكومة الثلاثية، لا تزال قوية ومتماسكة وأنها تمثل القوة الوحيدة الحقيقية في الدولة الرومانية[2].

ومن جهة الحلفاء فقد فضّل كل منهم مصالحه الشخصية رغم الخلافات العميقة، فمن جانب قيصر كانت ولاية الغال من أولوياته، ومن جانب بومبي حبه للسلطة والحكم مرة أخرى بالإضافة الى تغاضيه عن خلافه مع قيصر بسبب مكانة جوليا زوجته (ابنة قيصر) واستعداده للتضحية في سبيل إرضائها، ومن جانب كراسوس كان المجد والشهرة الحلم الذي يراوده وتقديم مختلف التنازلات لأجل تحقيقه قرر الثلاثة ابقاء قرارات الاجتماع في سريّة تامة حتى يتم تنفيذها، وهي: أن يتولى بومبي وكراسوس القنصلية لعام 55ق.م وإطالة مدة بروقنصلية قيصر في بلاد الغال لمدة خمسة أعوام أخرى[3]، وبعد انتهاء مدة قنصليتهم يستلمون مهامهم البروقنصلية لمدة 5 سنوات في ولاية اسبانيا لبومبي وولاية سوريا لكراسوس، حتى انه تخلص من أعداءه بأن قيّد حركة كلوديوس وسحب صلاحياته وقطع الدعم عليه، كذلك شيشرون ارسل اليه أخوه الذي كان مساعد لدى بومبي.

وقد أدرك شيشرون ان سياسة العداوة ستؤدي لنفيه من جديد لذلك توقف عن مهاجمة قيصر بل وصوت له في تمديد بيروقنصليته لـ5 سنوات اخرى وبذلك تحول من داعم للنظام الجمهوري

---

[1]– **أهنوباربوس (Ahenoparbus)**: الابن الوحيد لأبيه دوميتوس وهو قريب لبيدوس عضو الحكومة الثلاثية الثانية من جهة الأم، عمل بالسياسة كقنصل عام 61ق.م، كان شخصا متعجرفا سيء السمعة مات عام 25ق.م. أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، ص90.

[2]– ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص524

[3]– سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص107.

الى تأييد المطلق للحلف الثلاثي، وقد قدّر قيصر هذا التحوّل بالاستجابة لطلباته وتوصياته وكان منها ترقية شقيقه وجعله مساعدا لقيصر[1].

ب.تنفيذ قرارات مؤتمر لوكا وانتخاب بومبي وكراسوس قنصلين:

وصل بومبي وكراسوس الى روما بعد انقضاء موعد الترشح للقنصلية، لكنهما دبرا الأمر لصالحهما ولم يعدما الوسيلة، فقد استطاعا اقناع بعض الترابنة بتأجيل عملية الانتخابات وعدم اجرائها في موعدها، لظهور طالع النحس وتمّ ذلك فعلا، وبدأ عام 55ق.م دون انتخاب القنصلين الجديدين، وتمّ تعيين حاكم مؤقت لإجراء الانتخابات وبناءً على ذلك أصبح في وسع الاثنين أن يترشحا للمنصب، وأجريت الانتخابات فظفر كلاهما بمنصب القنصلية، ولكن بعد أن أعدوا خطة لعدم ظهور منافسهم دوميتوس يوم الانتخاب والذي كان يعتمد على حليفه كاتو –الذي عاد الى روما من قبرص–، ما إن تولى كل منهما منصب القنصلية حتى شرعا في استصدار قانونين مهمين كان لهما الأثر في تغيير مجرى الأحداث أولهما القانون المسمى (Lex Treponia) والذي أصدره نقيب العامة جايوس تريبنيوس، والذي نصّ على اسناد ولاية اسبانيا الى بومبي واسناد ولاية سوريا الى كراسوس لمدة 5 أعوام، بعد انتهاء قنصليتهما مع اعطائهما الحق بإعلان الحرب وعقد الصلح، وحشد كل القوات اللازمة سواء كانوا من المواطنين الرومان أو من الحلفاء[2].

وأما القانون الآخر تمّ اصداره من طرف القنصلان كراسوس وبومبي والمسمى (Lex Pompia Licenia Deprovincia Ceesaris)، والذي نصّ على اطالة مدّة بروقنصلية قيصر في بلاد الغال لمدة 5 سنوات أخرى، بالإضافة الى قانون مكمل لقانون الأراضي الذي أصدره قيصر عام 59ق.م وهذا القانون يضمن لجنود قيصر المسرحين حصولهم على الأراضي الجديدة كمكافأة لهم نظير خدماتهم.

5.نهاية الحلف الثلاثي بمقتل كراسوس في الشرق:

[1]– محمد عواد حسين، (المرحلة الثالثة....)، المرجع السابق، ص125.

[2]– نفسه، ص126.

التحق "كراسوس" بولاية سوريا وقد كان يحلم بإحراز نصر حربي باهر على غرار حلفاءه بومبي وقيصر فإنه لم يعدم الوسيلة في ايجاد الذريعة لشن الحرب ضد البارثيين لذلك عبر الفرات عام 53ق.م، وسرعان ما استطاع قائد جيش الفرس "سوريناس" (Sorinus)[1] محاصرته والايقاع به، ولم يفلح "كراسوس" الابن في انقاذ الموقف واللحاق بأبيه قرب كاراها (حران) (Harran)[2] حيث استطاع الفرس الايقاع به هو الآخر، لكنه انتحر لكي لا يظفروا به، أما "كراسوس" فقد حاول التفاوض مع الأعداء، فغدروا به وقتلوه، واستطاع "كاسيوس" خازنه، العودة بمن بقي من جند الرومان الى سوريا، وحمل البارثيون رأس "كراسوس" الى ملكهم "أرد الأول" الذي سكب ذهبا مصهورا في فمه وقال عبارته المشهورة في ذلك الوقت مخاطبا بها رأس "كراسوس": "أشبع نفسك الآن، بما لم تشبع منه في حياتك"[3]، وضعت تلك الهزيمة حدّا لمحاولات الرومان للتوسّع في آسيا الصغرى، اضافة أنّها كانت سببا في انفصام عروة التحالف الثلاثي، وبموته قد هدّم أركان الحلف الثلاثي الأول.

II.الصراع مع بومبي:

1.قنصلية بومبي الثالثة 52ق.م:

شهدت علاقة قيصر وبومبي بعد موت "كراسوس" فتورا كبيرا، وخاصة بعد زوال الرابطة الأسرية التي كانت تربط بينهما إثر وفاة يوليا ابنة قيصر 54ق.م، كما أن تزايد قوة قيصر وانتصاراته في الغرب بثت الرعب وعدم الارتياح في أوساط مجلس الشيوخ و"بومبي"، وأدرك كل منهما مدى حاجته للآخر في مواجهة قيصر، بعد انتهاء مدة قنصلية "بومبي" في روما في أواخر عام 55ق.م

[1]– **سوريناس (Sorinus)**: القائد البارثي خلال القرن الأول قبل الميلاد، لم يكن بالرجل العادي أبدا ولكن كان الرجل الثاني في المكانة والثروة، والأصل والشهرة في المملكة، ولا يختلف عليه اثنان في مهاراته القتالية أو من ناحية التفكير والشجاعة، أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص103.

[2]– **حران (Harran)**: مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين تقع حاليا جنوب شرق تركيا، ذكرت في التوراة على أنها المدينة التي استقر فيها النبي ابراهيم بعد هجرته من أور، أنظر: نفسه، ص103.

[3]– سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص352.

بدأت مدة بروقنصليته على ولاية اسبانيا لكنه لم يلتحق بهذه الاخيرة، وأناب عنه إثنين من مساعديه، وبقي على ابواب روما متحججا بمهمته في توزيع القمح في روما[1].

كما أن الاوضاع الداخلية في روما كانت تعمها الفوضى بين مرشح القنصلية ميلو (Milo)[2] ومرشح البرايتورية كلوديوس، وأدى مقتل هذا الاخير الى ردود انتقامية من طرف انصاره، لذلك عيّن بومبي قنصلا منفردا مزودا بالسلطة العسكرية في روما نفسها، فنجح الأخير في إعادة الأوضاع الى نصابها من خلال ممارسته لأعلى سلطة حاكمة في الدولة لسنة 52ق.م.

بدأت الهوّة بين قيصر وبومبي تزداد اتساعا، اذ بدأ هذا الاخير بتثبيت مركزه ومكانته الجديدة في روما، بالتناغم مع مجلس الشيوخ والذي أصبح لا يرى من عدو له سوى قوة قيصر المتزايدة، مع العلم أن قيصر كان يود المحافظة على رابطة الحلف، فيصبح حلفا ثنائيا، فاقترح على بومبي مصاهرته بتزويجه من حفيدة أخته، لكن الاخير رفض وتزوج من ابنة سكيبيو وهو أحد نبلاء مجلس الشيوخ، ويعتبر هذا تعبيرا واضحا من بومبي عن حليفه الجديد[3].

2.معارضة مجلس الشيوخ وبومبي لقنصلية قيصر سنة 49ق.م:

كان قيصر يدرك وهو في بلاد الغال أن خصومه يتربصون به، وأيقن أن زعماء مجلس الشيوخ سوف يكيلون له التهم جزافا بمجرد تنحيه عن سلطة امبريوم، ولذلك حرص على أن لا يضع نفسه تحت رحمتهم ووضع نصب عينيه أن يفوز بالقنصلية، ولحرمانه من القنصلية او البيروقنصلية أرادوا تعديلات قانونية قبل نهاية بيروقنصليته (مارس 50ق.م)، حيث تقدم القنصل ماركوس ماركيلوس (Marcus Marcellus) في شهر أفريل عام 51ق.م باقتراح الى مجلس الشيوخ يطلب فيه

[1]- سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص354.

[2]- **ميلو(Milo)** : سياسي روماني من عائلة لها تاريخ في السياسة كان متزوج من كورنيلا ابنة سولا، وكان من مؤيدين لبومبي، يجنّد عصابات من المجالدين للقيام بعمليات تربك الأمن في روما، أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص88.

[3]- بلوتارخ، المصدر السابق، مج3، ص1345.

انهاء مهمة قيصر في غالة بحجة انتهاء الحرب هناك، لكن زميله القنصل ونقباء العامة وحتى بومبي الذي لم يشأ أن يجهر بعداءه لقيصر رفضوا ذلك الاقتراح وطلبوا الالتزام بنص القانون[1].

ولذلك طلب قيصر الترشّح منتصف سنة 50ق.م لقنصلية سنة 49ق.م، مستفيدا من قانون النقباء العشرة الذي يجيز له ترشيح نفسه للقنصلية وهو متغيب عن روما مما يعني أنه يطيل مدة قيادته ويبقى على رأس قواته، ويشارك في الانتخابات القنصلية الّا أن بومبي قد خيب أمله بإصدار قانونين في عام 52ق.م، ينص أحدهما على منع الغائبين عن روما من ترشيح أنفسهم للمناصب (Lex De Iure Magistratuum). وكان هذا معناه حرمان قيصر من امتياز أو الاستثناء الذي اكتسبه مؤخرا بمقتضى قانون النقباء العشرة، أما القانون الآخر فينص على اختيار حكام الولايات أو البروقناصل من بين القناصل والبريتورات الذين مضى على الأقل خمس سنوات على اعتزالهم المنصب، وبذلك سدّ طريق العودة من جديد على قيصر لحكم غالة حتى بعد القنصلية التي ينوي الترشح لها، بالمقابل سمح مجلس الشيوخ لبومبي تمديد فترة خدمته وحكمه لإسبانيا مدة خمس سنوات، والبقاء على رأس قواته في روما[2].

اختل توازن القوى بين الحليفين السابقين وان دّل على شيء فإنّما يدل على تباعد ما بين بومبي وقيصر وتقارب بين بومبي ومجلس الشيوخ الذي كان يهدف الى تجريد قيصر من بروقنصليته ومحاكمته على تجاوزاته في قنصليته لقام 59ق.م بعد عودته الى روما كمواطن عادي، غير ان قيصر حاول منع تعيين حاكم جديد يخلفه على بلاد غالة الى نهاية سنة 50ق.م وقام المحامي كوريو (Scribonius Curion)[3] بالدفاع عنه حيث قام بمناورة سياسية بارعة ليوهم مجلس الشيوخ بأنه من أقوى أنصار الجمهورية، وأن كل هدفه هو تحرير مجلس الشيوخ من الشعور بالخوف من القوة

---

[1]- بلوتارخ، المصدر السابق، مج3، ص1346.

[2]- ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص547-549.

[3]- **كوريو (Curion)**: سياسي ورجل دولة روماني والذي خدم تحت امرة سولا، وانتخب كقنصل عام 76ق.م، وكان صديقا لشيشرون وفيما بعد تحول موقفه وأصبح لصالح قيصر، وكان هذا التحول نقطة تحول لقيصر عام 50ق.م وخصوصا عندما أصبح تريبونا للعامة، قتل في افريقيا عند تصديه ليوبا عام 49ق.م. أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص131.

العسكرية، فأعلن أن حل أزمة الجمهورية يكمن في إنهاء تنافس بروقنصلين لهما قوات عسكرية كبيرة، بالتخلي عن بروقنصليتهما وتسريح قواتهما[1].

وقد حاول بومبي أن يحبط هذا الاقتراح بينما مضى كوريو الى حد المطالبة بإصدار قرار باعتبار بومبي وقيصر عدوين للدولة اذ امتنع عن تنفيذ القرار، لكن هذا القرار لقي معارضة مجلس الشيوخ، فهم يتوقعون كل الشر من قيصر بحيث يرون أنّ بومبي يمكن أن يوافق على القرار وينفذه، بينما يرفض قيصر تنفيذه فيصبح صاحب القوة الوحيدة في الدولة، وعندما أجريت انتخابات القنصلية لعام 49ق.م، نجح عدوان من ألد أعداء قيصر وبدا أنّ الموقف كله يتحول ضده، لكن كان له صديق حميم وهو كوايستور أنطونيوس (Antonius)[2] وفي وسع هذا الصديق أن يقوم بكل ما أوتي من قوة للدفاع على مصالح قيصر وتحقيق أهدافه، ولذلك عمل قيصر على الظفر له بأحد مناصب تريبونية لعام 49ق.م[3].

بذل قيصر كل جهد ممكن للحصول على أكبر تأييد لطلبه برغم غيابه عن روما، فأنفق الأموال لتقديم الهدايا والقروض، واستطاع بذلك اجتذاب الكثيرين من رجال السياسة، ولم يهمل قيصر الجانب المعنوي في دعايته فبث عملاءه في صفوف عامة الشعب ليؤكد استعداداته للتفاهم ورغبته في تفادي وقوع حرب أهلية.

اجتمع مجلس الشيوخ في أول ديسمبر عام 50ق.م، ووقف القنصل ماركيلوس[4] (Marcelus) وطلب من مجلس الشيوخ اعتبار قيصر عدوا للدولة، فأعاد كوريو مطلبه بموافقته على مطلب ماركيلوس لكن بعدل وبأن يتخلّى كل من قيصر وبومبي عن جيشه ومنصبه، وتقدّم فعلا

---

[1]– محمد عواد حسين، (المرحلة الثالثة....)، المرجع السابق، ص130.

[2]– **أنطونيوس (Antonius)**: قائد وسياسي روماني، تولى القنصلية عام 44ق.م، يعتبر من أهم مساعدي قيصر في جانبين العسكري والاداري، أسس الحكومة الثلاثية الثانية مع كل من لبيدوس وأوكتافيوس، حدثت بينه وبين الأخير حرب أهلية انتهت بمعركة أكتيوم عام 31ق.م، أنظر: أيمن أبو الروس، المرجع السابق، ص78.

[3]– أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص132.

[4]– **ماركيلوس (Marcelus)**: أحد قناصل الرومان في فترة الجمهورية، والذي كان مساندا لبومبي ومجلس الشيوخ ومعاديا لقيصر، وقد برز بشكل جلي في فترة العداء ما بين قيصر وبومبي، أنظر: ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص552، 553.

باقتراح رسمي بذلك وطلب التصويت عليه، وكانت المفاجأة حين وافق المجلس على الاقتراح بالأغلبية[1]، وهنا لم يجد تريبون العامة فورنيوس الموالي لبومبي الّا أن يعترض على القرار فأبطله، وفي تلك الآونة تواترت شائعة بأن قيصر قد شرع في الزحف على روما فساد الهلع أنحاء المدينة، فانتهز ماركيلوس الفرصة وقام بمحاولة أخيرة ليرغم مجلس الشيوخ وقفة حازمة، واقترح اسناد قيادة الفرقتين المرابطتين في كابو الى بومبي ليتولى الدفاع عن روما وايطاليا، لكن كوريو اعترض على هذا الاقتراح وأبطله وهنا أعلن ماركيلوس أنه سوف يتصدّى بنفسه لهذا الخطر الذي يهدد الدولة بصفته قنصلا[2].

وذهب ماركيلوس مع القنصلين المرشحين للعام التالي وقابلوا بومبي خارج المدينة، وفوضوه مهمة الدفاع عن الجمهورية ضد قيصر، وبالرغم من عدم موافقة مجلس الشيوخ منحه هذا التفويض غير الدستوري الا أن بومبي قبله واستجاب لأداء المهمة، وهكذا بدا كأنه هو البادئ بالعدوان وأتاح لقيصر فرصة القاء تبعة اشتعال نيران الحرب الأهلية على كاهله، ولاسيما حين أعلن أنه على استعداد للتفاهم وقبول أي حل وسط، وأنه سيسرح جيشه ان وافق بومبي على تسريح جيشه ولو كان مجلس الشيوخ يملك حينئذ حرية التصرف لرحب بهذا الاقتراح، لكنه كان مغلول اليدين مسلوب الارادة، اذ طوقت قوات بومبي المدينة، وسيطرت أقلية متطرفة من الحزب الارستقراطي على مجلس الشيوخ سيطرة تامة[3]، واضطّر هذا الأخير تحت الضغط الشديد أن يوافق في الأول من يناير عام 49ق.م على اقتراح تقدم به سكيبيو بأن يتنحى قيصر عن قيادته في بلاد الغال، ويسرّح جيشه في يوم معين، فاذا لم يمتثل للقرار أعتبر خارجا عن القانون وخائنا للوطن، لكن ماركوس أنطونيوس الذي أنتخب نقيبا لعام 49ق.م اعترض هو وزميله كاسيوس على هذا القرار، وعندئذ تملّك الغضب من الارستقراطيين في المجلس فطردوا النقيبين من المجلس وهددوهما بالموت.

ولكي يبطل مجلس الشيوخ حق النقباء في الاعتراض أصدر في 7 يناير عام 49ق.م قرارهم النهائي، ودعا القنصلين الجديدين والقناصل السابقين، ومن بينهم بومبي لاتخاذ التدابير الكفيلة

[1]- محمد عواد حسين، (المرحلة الثالثة....)، المرجع السابق، ص140.

[2]- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص234.

[3]- نفسه، ص257.

للمحافظة على سلامة الدولة، وأعلن أن قيصر عدوا للوطن، ولم يلبث أنصاره من أعضاء مجلس الشيوخ ونقباء العامة أن فرّوا من روما ملتجئين الى معسكره في غالة القريبة، حيث كان يرقب تطورات الموقف، فلما بلغه نبأ طرد النقباء، وهم ممثلو الشعب والمدافعون عن حقوقه، وأحيط علما بالقرار النهائي الذي اتخذه مجلس الشيوخ ضده، اختلى بنفسه فترة قصيرة ليتدبر الأمر، وبعدئذ رد على خصومه بعبور نهر روبيكون (Rubico)، وهو الحد الفاصل بين غالة القريبة وايطاليا ذاتها، ولم يعد هناك سبيل للتراجع، فقد بدأت الحرب الأهلية[1].

III.مقتل بومبي وانفراد قيصر بالسلطة:

دخلت روما في مرحلة الحرب الاهلية الثانية التي جمعت بين بومبي وقيصر فقد بدأت بالمطالبة بحقوق سياسية وامتيازات نظير خدماتهما وصولا الى مواجهات عسكرية قضت في النهاية على الطرفان أفصل فيها فيما يأتي:

1.دخول قيصر الى روما وسيطرته على الولايات الرومانية:

قاد يوليوس قيصر جيشه الى روما وكان على رأس الفرقة الثالثة عشر وأمر الفرقتين الثامنة والثانية عشر باللحاق به سريعا، وفي 11 من شهر يناير عام 49ق.م عبر قيصر نهر الروبيكون الحد الجنوبي لغالة الجنوبية[2]، واستطاع السيطرة على أريمنوم ثم تخطى حدود ولايته، فانسحب بومبي وقنصلان وأغلب الحكام ومجلس الشيوخ من روما الى كابوا، والتجأ بومبي الى الحيلة والمفاوضات –من أجل كسب الوقت– وأرسل الى قيصر ليضع الصالح العام فوق المصالح الشخصية، وبيّن أن موقفه هو الدفاع عن الدولة لذلك ردّ قيصر عليه قيصر بأن يذهب الى اسبانيا ويقوم بأعمال بروقنصليته مقابل تخليه على بيروقنصليته وترشيح نفسه حضوريا لقنصلية عام 48ق.م، ولأن الطرفان لا يثقان في بعضهما لم يصلا الى اتفاق.

---

[1]– بلوتارخ، المصدر السابق،مج3 ص1347.

[2]- Dio Cassuis, Loc. Cit, volume XLI pp3-8.

تمكن قيصر من الاستلاء على الطرف الشمالي لكل من قاكسيوس وفلامينيوس المؤديين الى روما وهكذا أصبح يهدد روما وقام بمواصلة زحفه متجها الى بيكنوم حيث فتحت له المدن أبوابها ورحّب به الأهالي وقد انضمت اليه القوات التي كانت بإمرة أحد ضباط بومبي، وأصبح يمتلك فرقتين مدّربتين بالإضافة الى من انضم معه، وواصل تقدمه نحو روما، انسحب بومبي الى داخل لوكريا (Luceria) بمقاطعة أبوليا الى أن يتم حشد قوات كافية، استولى قيصر على كوركينيوم وبالمقابل انسحب بومبي في 26 جانفي عام 49ق.م، وتوجّه قيصر الى روما ودخلها في 16 مارس 49ق.م دون أن يلقى أي مقاومة تذكر، وأعلن حين دخوله العفو العام على جميع أهلها وأعاد اليها الادارة والأمن النظام الاجتماعي[1].

عمل قيصر على تأمين حدود شبه الجزيرة الإيطالية فأرسل فارليوس وكوريو لإخضاع سردينيا وصقلية واللذان نجحا دون عناء، أما هو فأخذ على عاتقه أمر مارسيليا واسبانيا، اذ بدأ بغزو هذه الاخيرة برا واخضاعها لحرمان بومبي من مساعدة قواته الموجودة هناك، وكذلك ضمان عودتها الى تصدير الحبوب، كما نجح في فك الحصار الذي كان مفروضا عليه من خصومه الذين استسلموا وبذلك استطاع اخضاع اسبانيا برمتها[2].

أما بالنسبة لإفريقيا فقد أرسل لها كوريو بعد الانتهاء من مهمته في صقلية لإخضاعها لسلطان قيصر، وكانت تحت قيادة فاروس (Varus) حقق فيها كوريو العديد من الانتصارات إلّا أنه استدرج الى كمين قد دبّر له في واد باجراداس (Bagradas) الذي يقع بالقرب من نهر باجراداس في افريقيا على الرغم من الشجاعة التي أظهرها كوريو وصموده، ولكن كانت نهايته هناك بعد تعرضه لغدر من قواته وكان ذلك في 28 جوان عام 49ق.م فأصبحت افريقيا واحدة من أماكن المعارضة ضد قيصر بالإضافة أنه حرم من الاستفادة من قمحها لمدة عامين ونصف[3].

---

[1]– سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص358.

[2]– ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص325.

[3]– أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص137.

2.دكتاتورية قيصر الأولى (القنصلية الثانية):

كان على قيصر قبل الانتقال الى بلاد الاغريق لمواجهة بومبي، الذهاب الى روما لترتيب أمور الدولة وحل المشاكل التي طرأت في غيابه، فقد عينه لبيدوس (حاكم مدينة روما المؤقت) دكتاتورا، وهو ما سهّل عليه معالجة ما يواجهه من أعباء سياسية، وقد استغل قيصر ذلك المنصب وصلاحياته الواسعة لإجراء الانتخابات لمختلف المناصب الحكومية، وبعد أن تمّ اختيار القناصل والبرايتورات والبروقناصل لجميع الولايات، التي تتبعه كذلك ترابنة الشعب، بادر مباشرة الى التخلي عن منصب الديكتاتور والاكتفاء بمنصب القنصل الذي أنتخب له سنة 48ق.م مع بوبيلوس سرفيلوس (Publius Servellus) كما سمح أثناء تقلده منصب ديكتاتور لعودة جميع المنفيين من جرّاء قوانين بومبي سنة 52ق.م، فضلا عن ذلك قام بإرجاع حقوق أبناء الضحايا الذين حرموا من حقوقهم المدنية، مكث في منصب الديكتاتور 11 يوما، استخدم فيها سلطته في اصدار بعض التشريعات الضرورية الخاصة بالأحوال الاقتصادية نتيجة للحرب التي أدّت الى أزمة فأنعشت إجراءاته الحياة الاقتصادية[1].

3.معركة فرسالوس[2] (Pharsalos) (7 جوان عام 49ق.م): (أنظر الملحق 11ص124)

إن المشاغل التي انهمك فيها قيصر أتاحت لبومبي الفرصة بتسع فرق قوام كل منها 4000 مقاتل على الأقل، واتخذ من مقدونيا ميدانا لتدريب قواته التي لا تصل الى المستوى الذي بلغته فرق قيصر بفضل الخبرة، بالإضافة الى قوة كبيرة من الخيّالة فضلا عن أسطول كبير يتألف من 300 سفينة على الأقل بقيادة بيبولوس زميل قيصر في قنصليته الأولى[3]، أما قيصر فكانت لديه في ايطاليا اثنا عشرة فرقة، ولكن هذه الفرق لم تكن كاملة لأنّ عدد كل منها كان يتراوح 2500 و3000

[1]– أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص138.

[2]– **فرسالوس**: البلدة اليونانية التي تقع ضمن مقاطعة لاريسا التي تعتبر أحد أقسام اقليم تساليا، كما أنها عاصمة الميرميدون الذين كان ملكهم بيليوس والد أخيل البطل الأسطوري حسب رأي هوميروس، انظر , نفسه ,ص141

[2] سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص352.

مقاتل، كما أنّ قوة خيّالته كانت تقل كثيرا عن قوة بومبي كما لم يكن في وسعه اعداد أسطول يماثل أسطول بومبي، أو يستطيع نقل قواته دفعة واحدة عبر الأدرياتي، ولكن ثقة قيصر في جنوده من حيث المهارات القتالية ولكن الوقت لم يكن في صالح قيصر لذلك قرر أن يعبر الأدرياتيك[1].

استمر قيصر بالتقدم واستطاع أن يسيطر على مناطق مهمة، وقد استسلمت له قاعدتي أريقوس (Oricus) وأبولونيا (Apollonia) البحريتين، وما ان علم بومبي بذلك قرّر الانسحاب من مقدونيا غربا ووصل الى دراخيوم حيث تحصن في مكان مرتفع يصل الى البحر جنوبها، وتحيط به التلال من الناحية البرية، على هيئة نصف دائرة، زحف قيصر بعد ذلك شرقا صوب تساليا، التي فتحت له أبوابها.

رفض بومبي القتال لأنه كان يحتل موقعا منيعا ويتخذ موقف الدفاع فقد رفض القتال يوما بعد آخر، فعمد قيصر على تهديد خطوط مواصلات خصمه لإرغامه على ترك موقعه المنيع عندما شرع قيصر في التحرك تقدم بومبي لمنازلته، ويبدو أنه كان واثقا من أنه اذا استطاع هزيمة مشاة قيصر فإن تفوقه في الخيّالة سيحقق له الفوز ولكن هذه الخطّة لم تنطلي على قيصر، فاتخذّ حيطته لمواجهة ما ينجم على ذلك من خطر، بأن وضع في مؤخرة خيّالته ثماني كتائب منتقاة من أفضل كتائبه، وعندما بدأت المعركة بدد خيّالة بومبي شمل خيّالة قيصر، ولكنه عندما استداروا للإطباق على مشاة قيصر من الخلف، تصدّت لهم كتائب المشاة المنتقاة وأرغمتهم على الفرار، ثم هاجمت مشاة بومبي فلم تلبث صفوفهم أن تمزقت وفرّ رجالها يطلبون الحماية في معسكرهم، غير أن قيصر جاء في أثرهم واقتحم عليهم معسكرهم فأسرعوا بالفرار صوب الشمال، ولكن دون جدوى لأن قيصر نجح في سدّ الطريق أمامهم فلم يأتي صباح اليوم التالي حتى كان النصر حليف قيصر ولم يعد لجيش بومبي أي وجود. [2].

---

[1]– ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص635

[2]– نفسه .ص636

4.نهاية بومبي:

اضطر بومبي بعد فشله الى ترك معسكره ولجأ الى ساموس ثم كليكيا فقبرص، وقد وصل الى سفينة تود الابحار الى أمفييوس (Amphipolif)[1] ومن بعد ذلك الى مدينة ميتلين (Mitylene)[2]، واعتزم على أن يأخذ زوجته وابنه ونصح السكان بإطاعة قيصر ليرحمهم لأنه رجل يتمتع بالرحمة والطيبة، وقد أدرك أنه لم يعد أمامه سوى مكانين يلتجأ اليهما وهما إفريقيا ومصر[3].

وكان بومبي يأمل في أن يجد في مصر ملاذا في ساعة الشدّة لدى ابن بطليموس الزمار الذي كان قد احتضن قضيته، وأوعز الى جابينيوس بمساعدته على استرداد عرشه، بلغ معسكر بطليموس نبأ اقتراب بومبي من السواحل المصرية، أثار ذلك اضطرابا بين أفراد حاشيته الذين خشوا ان يتعرضوا لغضب قيصر، وتراءى لهم أنّ أسلم السبل للخروج من المأزق هو التخلص من بومبي، ولذلك عهدوا الى أخيلاس وضابطين رومانيين في خدمتهم باغتياله وهو يهمّ بالنزول الى الشاطئ من الزورق الذي أعدوه له، ونفذّت الجريمة البشعة وخرّ القائد الروماني صريع الطعنات ممن حسب أنهم يرحبون بقدومه[4].

IV.نتائج الحرب الأهلية ومقتل قيصر:

1.اخضاع مصر وولايات آسيا (الدكتاتورية الثانية):

غادر قيصر بلاد الاغريق متعقبا خصمه نحو مصر التي بلغها في 2 أكتوبر من عام 48ق.م، وكانت معه قوة صغيرة محمولة على 34 سفينة مؤلفة من 3200 جندي من المشاة و800 فارس،

---

[1]– **أمفييوس**: مدينة باليونان القديمة والآن تقع بالقرب من منطقة مقدونيا الوسطى، وقد انتصر الرومان على المقدونيين في هذه المنطقة في معركة حدثت عام 168ق.م. أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص142.

[2]– **ميتيلين**: مدينة يونانية تقع في شرق البلاد، وهي عاصمة منطقة شمال ايجة الادارية، يعتقد أنها كانت مركزا لشعوب البحر، أنظر: نفسه، ص142.

[3]– بلوتارخ، المصدر السابق، مج3، ص ص1236-1238.

[4]– ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص637.

وعند وصول نبأ قدوم قيصر أسرع ثيودوروس (Theodorus)[1] الى موكبه حاملا معه رأس بومبي، ويقال أنّ قيصر أشاح بوجهه عنه وطلب إبعاده ثم أجهش بالبكاء، ودخل الاسكندرية وسار في شوارعها بموكبه القنصلي واتخذّ من قصر البطالمة مقرا له، لم يرق ذلك المشهد للمصريين الذين اعتبروه إيحاءً بأن مصر أصبحت ولاية رومانية[2].

أصرّ قيصر على التدخل لحل النزاع الحاصل في البيت البطلمي بصفته ممثّل للدولة والشعب الروماني، ودعا طرفي النزاع بطليموس الثالث عشر وكليوبترا لتسريح جيشهما والحضور الى الاسكندرية فاستطاع قيصر التوفيق بينهما، وأجلسهما على عرش مصر كما اقتضت التقاليد، لم يكن الصلح يصّب في مصلحة أنصار الملك الشاب الذين أحسّوا الخطر في عودة كليوباترا الى الحكم، لذلك عملوا على إثارة المصريين وزحفوا بجيش على الاسكندرية، في تلك الأثناء اندلعت حرب الاسكندرية في منتصف أكتوبر سنة 48ق.م وامتدّت حتى أواخر فبراير سنة 47ق.م وانتهت بقتل المتآمرين على قيصر بعد وصول الإمدادات[3].

بقي قيصر في مصر ما يقارب ثلاث أشهر أخرى قضاها مع كليوبترا، لكن ما إن سمع بثورة فارناكش الثاني (Farnakesh II)[4] الذي ثار في شبه جزيرة القرم وتوغلّ في أرمينيا الى أن وصل الى كبادوكيا، اضطر قيصر الى ترك مصر والتوجه الى الشاطئ الفينيقي حيث ذهب الى يهود فلسطين ليكافئهم بإنقاص الجزية عليهم بسبب المساعدة التي قدموها اليه في حربه والأزمة التي تعرّض اليها في الاسكندرية، ثم اتجّه الى سوريا لتنظيم أمورها الداخلية، ثم عزم على التوجه نحو كبادوكيا ثم منها الى

[1]- **ثيودوروس**: أحد الشخصيات المعروفة في البلاط البطلمي في مصر، ابان فترة الملك بطليموس الثالث عشر، استطاع تأمين مركز قوي في البلاط البطلمي. أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص143.

[2]- ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص641-643.

[3]- أيمن أبو الروس، المرجع السابق، ص ص37-41.

[4]- **فارناكش الثاني (Farnakesh II)** ملك القرم وابن مثريداتس السادس الملك الذي استطاع أن يكون عدو وخصم عنيد للرومان في آسيا وقد كان فرناكش مثل أبيه في تصديه للرومان، وكان يستغل أي نقطة ضعف في القوات الرومانية لكي يطيح بهم الخسائر، أنظر: ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص649.

حدود بنتس التي وقعت تحت سيطرة فارناكش، فقام قيصر بحملة تمكن من خلالها السيطرة على البنتس وهزم فارناكش هزيمة نكراء عند زيلا (Zela)[1] في أوت من عام 47ق.م[2].

توجه قيصر الى ايطاليا لوضع الأمور في نصابها في أثناء غيابه عنها، ومن ناحية أخرى أنّ القانون الذي استصدره قيصر في دكتاتوريته الأولى لتخفيف ضائقة المدينين، لم يرض أولئك الذين كانوا يطمعون في إلغاء الديون إلغاءً كاملا، وإزاء ذلك عمد برايتور المدينة لعام 48ق.م "كايلوس" الى إعاقة برايتور الأجانب لنفس السنة "تريبونيوس" عن تنفيذ القانون وأخذ يدعوا مستأجري المساكن الى عدم سداد الايجار لمدة عام، ويحرّض الدائنين على عدم سداد ديونهم، فالتف حوله الكثير، ولمواجهة كايلوس اصدر القنصل سرفيليوس قرارا بمجلس الشيوخ بتنحيته عن منصبه فانضمّ الى ميلو، الذي كان ينتهز فرصة غياب قيصر للعودة من المنفى، وأخذ يعبث في البلاد فسادا لكنه سرعان ما تمّ القضاء عليهما[3].

خلف قيصر أنطونيوس قائد الفرسان ونائبه في إيطاليا في غيابه، وكانت مهامه المحافظة على الامن في إيطاليا، وأثناء تولي أنطونيوس هذه المهام واجهته الاضطرابات من قبل أحد النبلاء وهو بوبليوس كورنيليوس دولابلا (Publius Cornelius Dolabella)كان أحد ترابنة عام 47ق.م اذ كان يريد اصدار قانون بإلغاء الديون لكي يتخلص ومن معه من الديون المترتبة عليهم وزميله لوكيوس تربيليوس (Lucius Trebellius) والذي عارض هذا المشروع، فالتجأ الاثنان الى العنف، فاضطر مجلس الشيوخ لإصدار قانون يقضي بعدم ادخال أي تغيير على قوانين قيصر الى أن يعود الى روما، لكن هذا الصراع ظل مستمرا دون أن يستطيع أنطونيوس السيطرة عليه[4].

والأخطر من ذلك مسألة تمرّد جنود قيصر الذين عادوا الى ايطاليا، وقاموا بالتمرّد لطول انتظارهم عودة قيصر ليسرّحهم ويكافئهم على الخدمة، دون أن يستطيع أنطونيوس السيطرة عليهم،

1– **زيلا (Zela)**: احدى مناطق التابعة لإقليم البنتس، وهذه المنطقة تحصن فيها فارناكش الثاني، وكان يريد أن ينطلق منها لمواجهة قيصر، أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص273.

2- Dio Cassuis, Loc. Cit, volume XLII, pp44- 48

3– أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص152.

4– ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص653.

وعند وصول قيصر الى روما في 47ق.م وجد الوضع متأزّم بغيابه لكنه حاول السيطرة على الوضع من خلال تقديم الوعود وتمادت الفرقة العاشرة وزحفت الى روما، وظهر لهم قيصر وخاطبهم بقوله: "أيها المواطنون المدنيون" بدلا من أيها الجنود ووعدهم بتسريحهم ومكافئتهم، فندموا على سلوكهم المشين تجاه قائدهم ووعدوه بمشاركتهم في حملته على إفريقيا وعن مسألة الديون فقد قضى على ذلك بإصدار إعفاء مستأجري المساكن من دفع ايجارهم لمدة عام، وإعفاء المدنيين من دفع الفوائد المتراكمة على ديونهم، وبذلك هدأت الأوضاع في روما، وتمكّن قيصر من ان يصبح هو ولبيدوس قنصلين لهذا العام عام 46ق.م [1].

2. إخضاع إفريقيا (الدكتاتورية الثالثة):

بعد أن أتمّ قيصر تنظيم أوضاع روما الداخلية أخذ يتجهز لمواجهة البومبيين الذين فرّوا الى إفريقيا بعد معركة فرسالوس، بعد الخسائر التي كبّدها "يوبا الأول" لروما، اعتبره قيصر عدوا لها، ومن أبرز الجمهوريين الذين التجأوا الى هناك كاتو ولابينوس وأبناء بومبي والقنصل سكيبيو الذي أسندت اليه القيادة العليا في هذه الحرب التي أطلق عليها اسم حرب إفريقيا.

أبحر قيصر في 8 أكتوبر الى شمال افريقيا ومعه ستة فرق وسبع كتائب من المشاة وعند وصوله الى حضرموت (سوسة حاليا)، وبسبب العواصف تشتت أسطوله فلم يتمكن من القيام بأي هجوم، وعمل على الاتجاه صوب لمطة[2] جنوبا، وتوجه نحو الشمال وسيطر على جزيرة كاركينا (في سوسة)، ثم استولى على روسبينا (المنستير حاليا) ثم قام بتحصينات قوية بالقرب من المدخل الجنوبي للمدينة[3]، زحف سكيبيو الى البرزخ الشرقي، وأفرانيوس ويوبا قاما بإغلاق مدخل هذا البرزخ وأخذوا بالاقتراب الى أضيق موقع فيه، كي لا يتمكن من الانسحاب، وما ان دارت المعركة حتى اكتسحت

[1]- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص276.

[2]- **لمطة**: هي بلدة تونسية تقع في ولاية المنستير تسمى لبدة الصغرى، لتفريقها عن لبدة الكبرى في ليبيا. أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص155.

[3]- يوليوس قيصر، **حرب أفريقية 47-64ق.م**، تر: محمد الهادي حارش، دار الهومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص12.

قوات قيصر قوات العدو، اذ قام قسم منهم بمطاردة الهاربين من المعركة، وذهبوا الى الجانب الثاني حيث ظهر لهم معسكر أفرانيوس ويوبا لكنهما لم يقاوموا أو يشتبكوا معهم، نتيجة سماعهم بنبأ خسارة زميلهم سكيبيو، فانقض عليهم قيصر دون رحمة وقدّر عدد الضحايا حوالي50 ألف شخص، وتمكن قسم منهم من الهروب وهم كل من لابينوس وفاروس وسكيتوس بومبي، وانضموا الى الفرق المتمردة في اسبانيا، توجه قيصر الى أوتيكا حيث حاصر كاتو الذي أدرك أنه لا أمل في المقاومة ففضّل الانتحار على أن يقاد أسيرا في قبضة أعداءه.

أما عن يوبا فقد توجّه الى مشارف عاصمته، فأوصدت المدينة أبوابها أمامه بسبب الخسارة التي مني بها فعند ذلك قرّر يوبا وبتريوس انهاء حياتهما، فقتل أحدهما الآخر وطعن الآخر نفسه، قام قيصر بتنظيم أمور الولاية اذ حوّل الجانب الأكبر من نوميديا الى ولاية رومانية وقد سميت بإفريقيا الجديدة (Africa Nova)، أما عن المدن التي تحالفت مع كاتو ومثل لبدة الكبرى فرض عليها جزية سنوية بعد أن كانت في مرتبة الحليفة لروما، وهكذا تمكن قيصر من السيطرة على الأمور بعد أن قضى على آخر معقل للمعارضين له[1].

عندما وصلت الى روما أنباء معركة تابسوس أقيم قيصر دكتاتورا لمدة عشر سنوات، ومشرفا على الأخلاق لمدة ثلاث سنوات، وعند وصوله الى روما قام بإلقاء خطبة على أبناء شعبه مؤكدا لهم على الرغم من الانتصارات التي حققت والسلطات الواسعة التي أصبح يتمتع بها فإنه لن يرتكب من أعمال القسوة مثل ما ارتكبه سولا، أو أن يقيم نفسه طاغية مستبدا بل أن يقوم بكل ما فيه صالحهم وصالح البلاد، وأصرّ على عدم إثارة الماضي وأحرق جميع المراسلات التي وجدها في معسكرات بومبي وسكيبيو، كما حرص على تجنب الظهور بمظهر المنتصر في حرب أهلية وعمد بدلا من ذلك الى الظهور بمظهر المواطن الذي دافع عن حدود الامبراطورية وتوسيع رقعتها، وقام بأربع مواكب للنصر دون الاحتفال بانتصاره على بومبي وكاتو، ولأن الفارين من افريقيا توجهوا الى اسبانيا قرر قيصر

[1]– شارل اندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية** تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء الى الفتح الاسلامي 647م، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص165.

تأجيل اصلاحاته الى ما بعد القضاء على آخر تمرد، بعد أن فشلت القوات التي أرسلها لردعها، ولكن عيّن في هذا العام قنصلا بمفرده[1].

3.توجه يوليوس قيصر نحو اسبانيا (الدكتاتورية الدائمة):

شهدت اسبانيا تمردا قام به الجنود نتيجة للسياسة كاسيوس، الذي وضعه قيصر حاكما للولاية، فقام قيصر باستبداله، واستطاع تهدئة الوضع فترة من الوقت، لكنهم عملوا على الاتصال بسكيبيو وعرضوا عليه الانضمام الى الجمهوريين، وكان هذا بسبب خوفهم من انتقام قيصر، وقد أرسل من افريقيا بعض القوات التي كانت تحت قيادة جنايوس بومبي، الذي سيطر على جزر البليار ازاء هذه الأوضاع قام المتمردين بطرد الحاكم الذي عيّنه قيصر، ونجحوا بإقناع احدى المدن الاسبانية بالخروج عن طاعة قيصر، توجه قيصر الى اسبانيا في أوائل شهر نوفمبر من عام 46ق.م[2]، وعمد خصومه على تجنب الاشتباك معه في معركة فاصلة لمدة ثلاثة شهور، وأخذوا في الانسحاب من مدينة الى أخرى الى أن وصل جنايوس بومبي الى مشارف مدينة أورصو، احدى المدن القريبة من موندا (Munda)[3] ، وقد اتخذّ موقعا منيعا ومحصنا ظنا منه أن قيصر سوف يتراجع بسبب الموقع المنيع، لكن قيصر عبر النهر الذي كان يمنع وصوله الى خصومه في مارس عام 45ق.م، ودارت بينهم معركة لعدة ساعات وانتهت بالخسارة الفادحة وهروب جنايوس بومبي.

بعد هذه النهاية أخضع قيصر جميع الأقاليم التي خرجت عن طاعته وعاملهم بقسوة وصرامة ثم رجع الى روما لاستكمال الاصلاحات فيها، وعند وصول قيصر اليها حاملا معه النصر قام مجلس الشيوخ بمنحه لقب أبو الوطن، وأقيمت مواكب النصر ثم تنازل قيصر عن منصب القنصلية في أكتوبر

[1]– عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص278.

[2]– سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص374.

[3]– **موندا (Munda)**: هي بلدية تقع في مقاطعة مالقة التابعة لمنطقة أندلوسيا جنوب اسبانيا، قد حدثت فيها أهم معارك الرومان، أنظر: أحمد فيصل دلول اللهيبي، المرجع السابق، ص159.

عام 45ق.م، وسمح بمشاركة قنصلية عام 44ق.م مع انطونيوس، وفي فيفري 44ق.م تمّ منحه دكتاتورية مدى الحياة، وقد اعتبرت معركة موندا النهاية العسكرية لقيصر[1].

4.اغتيال قيصر:

وطّد انتصار قيصر في معركة موندا مركزه كحاكم مطلق وأتاح له فرصة الحصول على معظم ألقاب الشرف التي سبق الاشارة اليها، قد اتضح أنه لا ينوي مراعاة تقاليد الحكم الجمهوري اذ لم يسمح لمجلس الشيوخ أو للجمعية القبلية بحرية التصرف، وقد أثار بمسلكه الاستبدادي ونزوعه الى الحكم المطلق الحقد الدفين في صدر الارستقراطية التي ضاقت ذرعا بالقيود التي فرضها عليها قيصر، وقد شارك هذه الطبقة في شعورها كثير من الموالين لقيصر وأنصار الحكم الجمهوري وهكذا تجمعت العناصر المتذمرة ودبّرت مؤامرة للتخلص من الديكتاتور، وكان على رأس هذه المؤامرة جايوس كاسيوس أحد أنصار بومبي القدامى والذي نصّبه قيصر برايتورا لعام 44ق.م[2].

وقد استطاع أن يضم الى جانبه ماركوس بروتوس الذي انضم الى معسكر قيصر بعد معركة فرسالوس، وقد أنزله قيصر منزلة احترام وتقدير، وكان من بين المتآمرين ذوي مكانة، جايوس تريبونيوس ودكيموس بروتوس وكلاهما من أنصار قيصر، وبلغ عدد مشتركين في المؤامرة حوالي 60 رجلا من أعضاء مجلس الشيوخ، واتفق المتآمرون على التنفيذ في 15 مارس من عام 44ق.م، وكان قيصر على وشك أن يغادر روما الى بلاد اليونان لكي يؤمّن حدود الامبراطورية في الشرق وليحارب البارثيين انتقاما لكراسوس واستردادا لشرف روما.

وقد روى أنه حذّر من وجود مؤامرة على حياته لكنه لم يكترث بالتحذير، بل أنه صرف حرسه الخاص، وذهب الى مجلس الشيوخ حيث كان من المتفق مناقشة مسألة منحه لقب ملك من الولايات، عندما أحاط به المتآمرون، وقد أستلّ كل منهم خنجره وانهال الكل عليه بالطعنات، وقيصر مازال واقفا ولم يسقط، رغم كلّ الطعنات في جسده، حتى رأى صديقه بروتوس، مشى يوليوس قيصر

[1]- سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص596.

[2]- الحسيني الحسيني المعدى، المرجع السابق، ص180.

نحوه وهو متخبطا في دمائه، ووضع يده على كتفه ينتظر منه العون، فقام بروتوس هو الآخر بطعنه، هنا قال قيصر جملته الشهيرة: "حتى أنت يا بروتوس!...اذا فليمت قيصر..." وسقط ميتا تحت تمثال بومبي[1]. (أنظر الملحق6 ص121)

ختاما لهذا الفصل، يمكنني القول أن قيصر بدأ حياته العسكرية من اسبانيا وختمها في معركة موندا كذلك في اسبانيا، لم تتسنَ له الفرصة لاستعادة شرف روما في الشرق الذي أهدره كراسوس.

[1]- بلوتارخ، المصدر السابق، مج3، ص1367، 1368.

الفصل الثالث

المنجزات الحضارية ليوليوس قيصر

من الممل الحديث عن شخصية سياسية وعسكرية دون الاهتمام بالجوانب الحضارية الأخرى التي تتعلق بها؛ ف"يوليوس قيصر" السياسي والعسكري شخصية ذات ارادة سياسية قوية وعزيمة وشجاعة عسكرية منقطعة النظير، لذلك سأخوض في هذا الفصل في بعض الجوانب المهمة التي تجعلنا نرى جانب في شخصية "قيصر" لم نره في الفصول السابقة، حيث يظهر في شخص "يوليوس قيصر" الكاتب الروائي والخطيب المميز، الذي اتخذ من قلمه وسيلة لتدعيم حكمه وارساء كلمته وزيادة شعبيته، لكنها لم تكن لتكفي وحدها للتحكم في زمام الأمور دون العمل على اصلاح الأوضاع الجديدة التي خلّفتها الحرب الأهلية، فقد أدرك قيصر مدى ضرورة التدخل السريع، فاتّخذ جملة من الاصلاحات والتدابير التي كانت بصمة في تاريخ روما.

I. اصلاحات يوليوس قيصر:

في عام 46ق.م ناشد "شيشرون" "قيصر" القيام باصلاحات يكون من شأنها بعث الحياة من جديد، والواقع أن "قيصر" لم يكن في حاجة الى أن يستحثه أحد على مسألة الاصلاح ذلك أن "قيصر" رجل الدولة والحاكم المطلق كان شأنه شأن "قيصر" القائد من حيث ادراكه صعوبة الموقف ومتطلباته، اذ شرع بالاصلاح منذ السيطرة على ايطاليا في عام 49 ق.م، ورغم عدم الاستقرار فقد دأب على متابعة الاصلاح كلما أتيحت له الفرصة، لقد رأى بعد انتصاره على "بومبي" والحزب الارستقراطي وانفراده بالسلطة أن الواجب من الممل الحديث عن شخصية سياسية وعسكرية دون الاهتمام بالجوانب الحضارية الأخرى التي تتعلق بها؛ ف"يوليوس قيصر" السياسي والعسكري شخصية ذات ارادة سياسية قوية وعزيمة وشجاعة عسكرية منقطعة النظير، لذلك سأخوض في هذا الفصل في بعض الجوانب المهمة التي تجعلنا نرى جانب في شخصية "قيصر" لم نره في الفصول السابقة، حيث يظهر في شخص "يوليوس قيصر" الكاتب الروائي والخطيب المميز، الذي اتخذ من قلمه وسيلة لتدعيم حكمه وارساء كلمته وزيادة شعبيته، لكنها لم تكن لتكفي وحدها للتحكم في زمام الأمور دون العمل على اصلاح الأوضاع الجديدة التي خلّفتها الحرب الأهلية، فقد أدرك قيصر مدى ضرورة التدخل السريع، فاتّخذ جملة من الاصلاحات والتدابير التي كانت بصمة في تاريخ روما.

يحتم عليه اصلاح أداة الحكم التي دبّ فيها الفساد خلال قرن طويل من التطاحن الحزبي والحروب الأهلية، على الرغم من قصر فترات الهدوء التي أتيحت لـ" قيصر" في خلال الأعوام الخمسة التي أعقبت استلاءه على ايطاليا، فإن الاصلاحات التي أنجزها وتلك التي وضع خطتها كانت عظيمة الشأن وتوضيحا لهذه الاصلاحات قسمتها على النحو التالي:

1.الاصلاحات العامة:

ينسب وضع التقويم الروماني الى "روميلوس" (Romulus) منشئ مدينة روما والذي يعود لحوالي 753ق.م، حيث كان مبدأ للتاريخ في التقويم الروماني، الى أن عُدّل في عهد "يوليوس قيصر" –كما سيأتي – وقد كانت الشهور الرومانية عشرة أشهر وهي:

- مارس(Mars) إله الحرب عند الرومان.
- أبريل (منسوب الى المعبودة عند الرومان هي (April) وهي التي تتولى فتح الأزهار وفتح أبواب السماء لتضيء الشمس بعد خمودها في فصل الشتاء)
- مايو (منسوب الى المعبودة مايا وهي ابنة الاله أطلس حامل الأرض وأم الاله عطارد خادم الآلهة عند الرومان)
- يونية (ينسب الى المعبودة جونو زوجة المشتري)
- كوينتيلس (Lis-ti-Quin) بمعنى الخامس باللغة اللاتينية.
- سيكستيلس (Lis-ti-sex) لمعنى السادس باللغة اللاتينية.
- سبتمبر (بمعنى السابع).
- أكتوبر (بمعنى الثامن).
- نوفمبر (بمعنى التاسع).
- ديسمبر (بمعنى العاشر)[1].

[1]– الحسيني الحسيني المعدى، المرجع السابق، ص219.

وفي عهد "قيصر" تم تعديل عدد شهور السنة لتصبح اثني عشر شهرا بدلا من عشرة شهور وذلك بإضافة شهري يناير وفبراير في مبدأ العام في التقويم الروماني، بعد أن كان مارس هو مبدأ العام، و أصبحت الشهور (سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر) لا يدل معناها على ترتيبها الحقيقي بين شهور السنة، فمثلا سبتمبر الذي معناه السابع لا يدل على ترتيبه الحقيقي بين الشهور فهو الشهر التاسع، أما الشهران المضافان وهما يناير وفبراير فينسبان على التوالي الى الاله "بيانوس" عند الرومان وهو حارس أبواب السماء، وكانوا يتصورونه على هيئة انسان ذي وجهين ينظران في اتجاهين مختلفين وكان معبده يفتح أيام الحرب ويغلق أيام السلم، وبه اثنا عشرة بابا بعدد شهور السنة، أما فبراير فهو مشتق من الاسم فبرورا بمعنى التطهير والتنظيف، وكان الرومان يقيمون في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيدا يتطهرون فيه روحيا من الذنوب والخطايا، وينظفون فيه مساكنهم وأثاثهم، وقد انتقلت هذه العادة الى كثير من الدول الأوروبية باسم تنظيف الربيع ومازالت متبعة حتى الآن[1].

درج الرومان على استخدام السنة القمرية في تقويمهم بدلا من السنة الشمسية التي كان يستخدمها المصريين منذ أمد بعيد، وتبعا لذلك كان هناك فارق في كل عام قدره عشرة أيام وربع يوم، لكي تقابل السنة الرومانية فصول السنة الشمسية، كان الرومان بضيفون شهرا نسيئا كل عامين بين 23و24 من فبراير، كانت اضافة هذين الشهرين بمشيئة الكهنة، وكانت هذه المشيئة تتأثر بعوامل مختلفة وكان طبيعيا أن يترتب على اغفال اعمال هذه المشيئة أو سوء اعمالها تفاوت بين التقويم وفصول السنة، وبعد أن أصبح "قيصر" دكتاتورا، صحّح التقويم الروماني بإضافة أيام نسئ فيما بين آخر نوفمبر وأول ديسمبر عام 46ق.م ، بحيث أصبح أول يناير عام 709ق.م منذ انشاء روما يتفق وأول يناير والسنة الشمسية، وفضلا عن ذلك ليكون التقويم الروماني معادلا لطول السنة الشمسية، تقرر اضافة عشرة أيام الى الشهور القصيرة في التقويم، حتى يصبح عدد أيامه 365 يوم، و بأن يعوض ربع اليوم الباقي بإضافة يوم نسئ كل أربعة أعوام بين 23و24 من شهر فبراير، ويعتبر التقويم السائد اليوم هو التقويم الذي صححه "يوليوس قيصر" مع تعديل طفيف.

وللقضاء على أعمال العنف والشغب اتخذ "قيصر" ثلاث خطوات كانت احداها هي تجديد العقوبة على مثيري الشغب، فقد أضاف الى العقوبات التي كانت تفرض على مرتكبي الجرائم

[1]– الحسيني الحسيني المعدى، المرجع السابق ، ص220.

عقوبة التجريد من حقوق المواطنة، وكانت الخطوة الثانية هي أنه ازاء أعمال العنف والشغب التي ارتكبها أعضاء الجمعيات والمنتديات منذ "تريبونية كلوديوس"، -كما سبق وفسرت في الفصل السابق- فقرر "قيصر" حل جميع هذه الجمعيات والمنتديات واستثنى القديمة منها مثل النقابات المهنية، وكانت الخطوة الثالثة هي أنه جعل التجريد، من كافة الممتلكات عقوبة من يتعمد قتل أحد أقربائه، ومن يقتل غير هؤلاء يجرد من نصف ممتلكاته، وفضلا عن ذلك أن "قيصر" قد استبعد ترابنة الخزانة العامة من عضوية هيئات المحلفين فاقتصر تكوين هذه الهيئات على الفرسان وأعضاء مجلس الشيوخ[1].

وبعد الانتصارات التي حققها قيصر، شهدت روما أياما من الاحتفالات والمآدب ما لم تر مثلها حتى في عهد "سولا"، لكنه وبعد التحكم في زمام الأمور، اقتفى أثر "سولا" في اصدار قانون للحد من مختلف ضروب البذخ والاسراف، وخاصة في المأكل، فنشط الحراس والجنود في مراقبة الأسواق وتفقد الموائد في البيوت، بيد أنه حقق نتيجة فعالة فترة حكمه، لكنه سرعان ما عاود الناس الرجوع الى ما يألفونه قبل "قيصر"[2].

أنزل "قيصر" من مكانة مجلس الشيوخ حتى أصبح مجلسا استشاريا له، ورفع عدد أعضاءه من ستمائة عضو الى تسعمائة، منذ نشأة مجلس الشيوخ كان يتكون من ثلاثمائة عضو من الطبقة الارستقراطية، لكن قد زاد هذا العدد أو قلّ في العديد من المناسبات و أبرزها عندما زاد الدكتاتور "سولا" من عدد الأعضاء الى الضعف في عام 78 ق.م واستمر العدد الى ستمائة عضو حتى مجيئ "قيصر" وأضاف ثلاثمائة عضو اضافي فأصبح العدد الاجمالي لأعضاء مجلس الشيوخ في عهد "قيصر" تسعمائة عضو، وكان دائم التجديد فيه باستبدال أربعمائة عضو جديد بمثل عددهم من أعضاءه السابقين، وكان كثيرون من هؤلاء الأعضاء الجدد من رجال الأعمال والمواطنين البارزين في المدن الايطالية أو مدن الولايات الرومانية، ومنهم من كانوا من الجنود وأبناء العبيد، ارتاع الأشراف حين رأوا زعماء غالة يدخلون مجلس الشيوخ وينضمون الى حكام الامبراطورية، وهناك منهم من ذهب الى

[1]- ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص672، 673.

[2]- أم هاني رمضاني، "**روما وسياسات الاصلاح يوليوس قيصر أغسطس دقليديانوس أنموذجا**"، مجلة أفكار وآفاق، العدد 1، مج 6، 2018، ص59.

أكثر من هذا اذ نشروا في طول المدينة وعرضها، مقطوعة شعرية يقولون فيها أن "قيصر" يقود الغاليين في موكب نصره، ثم يدخلهم مجلس الشيوخ، لقد خلع هؤلاء سراويلهم القصيرة ولبسوا المئزر عريض الأطراف الذي يلبسه أعضاء المجلس[1].

وأغلب الظن أن "قيصر" تعمّد أن يجعل المجلس الجديد هيئة ضخمة، عاجزة عن المداولة الجدية المنتجة أو المقاومة الموحّدة، لذلك اختار طائفة من أصدقائه، ليتخذ منهم وزراء له غير رسميين ينقلون سياسته ويطبقون قراراته، رغم أن "قيصر" شكّل مجلسا يتماشى وقراراته لكنه ورغم ذلك كانت توجد في هذا المجلس فئة قليلة من النبلاء الذين لم يرضوا عن سلطات "قيصر" المطلقة، ولم يعتبروه الّا طاغية من الطراز الاغريقي، لكن عامل الخوف أرغمهم على توخي جانب الحيطة في معارضة الدكتاتور[2].

زاد قيصر عدد البرايتوريين أولا الى عشرة ثم الى ستة عشر، وبذلك أصبح عددهم ضعف ما كان عليه منذ عهد سولا، كما ضعّف ايضا عدد الكوايستوريين فأصبحوا أربعين، وعدد الايدليين فأصبحوا أربعة، وأسند الى الايدليين الجدد مهمة الاشراف على توزيع هبات القمح على المعوزين في روما، لذلك كانوا يسمون "أيدلي الحبوب"، كما أنه زاد أيضا من عدد أعضاء الجماعات الدينية الرئيسية بإضافة عضو جديد، لكل من جماعة الكهنة وجماعة العرّاف[3].

أدخل النظام البيروقراطي في الدولة، بأن وضع الشؤون الكتابية في دولاب الحكومة ودقائق الاعمال الادارية في أيدي من كان في بيته من المحررين والعبيد، كما أعاد فرض المكوس الجمركية في الموانئ بعد أن ألغيت في عام 60ق.م، ويبدو أن هدفه من هذا كان ملء الخزانة العامة[4].

وكان من بين أكثر القوانين نفعا على روما وايطاليا تلك التي أصدرها في سنتي 49و 48ق.م ليخفف من حدّة الضائقة المالية التي نشأت عن الذعر أيام الحرب الأهلية، فقد استغل

[1]- ول وايرل ديورانت، المرجع السابق، ص389.

[2]- ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص674.

[3]- ابراهيم أيوب، **التاريخ الروماني**، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، (د.ت)، ص232.

[4]- ول وايرل ديورانت، المرجع السابق، ص389.

بعض النبلاء حالة الفوضى وقاموا بمحاولات متطرفة لإلغاء جميع الديون، فوجد "قيصر" حلا للأزمة بأن جعل أثمان العقارات عند اعلان الحرب أساسا لتقييم الديون، وأوقف الفوائد منذ بداية تلك الحرب، كما قام بإعفاء مستأجري العقارات من جزء من القيمة الإيجارية السنوية، كانت هذه القوانين معتدلة لأنها يسّرت على المدينين سداد دينهم، في الوقت نفسه حافظت على حقوق الدائنين[1].

2.الاصلاحات الخاصة بمدينة روما:

ما دمت بصدد الحديث عن اصلاحات "قيصر" الخاصة بمدينة روما، فإنه لابد لي من التطرق لمشروعين من بين أربعة، كان "قيصر" جادا في اعدادها عندما لقي مصرعه، وقد وجدت هذه المشاريع بين أوراق "قيصر"، وحفظت نصوصها في لوحة من البرونز، كشف عنها في مدينة هرقليا(كانت مدينة قديمة على ساحل بيثينيا في آسيا الصغرى)، ولذلك تحمل اللوحة اسم المكان الذي وجدت فيه، وبمقتضى القانون المعروف باسم "قانون انطونيوس" بإقرار أعمال "قيصر"، دخلت هذه المشاريع حيّز التنفيذ[2].

ويبدو من خلال المشروعين الأولين، أنهما لم يوضعا اعتباطيا، ولكن بعد دراسة دقيقة لحالة المعوزين في روما، حيث نصّ البند الأول من المشروع في اللوحة على تقليص عدد المنتفعين بالقمح المجاني من 32 ألف الى 150 ألف، والزام المنتفعين بتقديم تقرير بثروتهم أو دخلهم في حالة زيادته عن الحد المقرر للتمتع بهذه المنحة، على أن تملأ الأماكن الشاغرة نتيجة للوفاة أو زيادة الدخل بالفقراء الذين تؤهلهم حالتهم للانتفاع بالهبات، وأرسل غير المستحقين لهذه المنحة الى المستعمرات الجديدة التي أنشأها خارج ايطاليا، ونتيجة لهذا القانون عينت لجنة عن طريق انتخاب محتسبين جدد للإشراف على توزيع هبات القمح[3].

والظاهر على ما يبدو من خلال هذا المشروع، أن "قيصر" كان ينوي من خلاله التخفيف من وطأة البطالة بعد أن أتاح لهم الفرصة لكسب قوتهم بوسائل مجزية، والتخلص من البطالين في

[1]- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص296.

[2]- ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص676، 677.

[3]- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص295.

العاصمة الرومانية، لتجنب حدوث أي أضرار أو فوضى، أما مشروع القانون الثاني فجاء خاصا بوسائل صيانة شوارع روما وضواحيها، وتنظيم حركة المرور في شوارعها، وكذلك ضبط استخدام الميادين والمباني العامة، كما قرر استخدام القوات العسكرية لمساعدة الحراس- وهم القوة البوليسية المدنية الوحيدة في العاصمة- في حفظ الأمن في الأسواق[1].

3.الاصلاحات الخاصة بإيطاليا:

استكمالا للقانون الخاص بحل الجمعيات والمنتديات، وهو القانون الذي كان يهدف الى نشر الأمن واستتباب النظام في كل ربوع ايطاليا، أصدر "قيصر" قانونا يقضي بالزام أصحاب المراعي باستخدام نسبة معينة من الأيدي الحرة، ويعتبر هذا القانون قانونا وقائيا ضد ثورات العبيد، وكذلك لفسح المجال للمواطنين الأحرار للعمل فيها، والتقليل من البطالة، فإن هذا القانون ساعد على ملء صفوف الفرق العسكرية برجال من الريف، وعلى فتح أبواب الرزق للجنود المسرحين، ريثما تتم اجراءات توزيع القطع الزراعية[2]، وفضلا عن ذلك أنه منح بعض الامتيازات للآباء الذين عندهم أبناء كثيرون، وهذا يتفق وروح التشريع الذي اصدره "قيصر" في قنصليته الأولى في عام 59ق.م حيث عمل في منح الاقطاعات على تفضيل الآباء الذين لديهم ثلاثة أبناء على الأقل، وهذا المشروع يعتبر إحياء لمشاريع الاخوة "جراكوس"[3].

وكان من بين إصلاحات "قيصر" الجوهرية، التي ترتبت على هذه الخطوة تنظيم أداة الحكم المحلي في ايطاليا من جديد وتنسيق النظم الادارية، في المدن المتمتعة بالحكم الذاتي، وذلك بوضع شروط معينة لشغل المناصب العامة، وعضوية المجالس المحلية، وهذا يعتبر المشروع الثالث من "لوحة هرقليا"[4].

1- ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص677.

2- عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص297.

3- ول وايرل ديورانت، المرجع السابق، ص390.

4- أم هاني رمضاني، المرجع السابق، ص59.

أنشأ مراكز مدنية جديدة في أنحاء الريف الايطالي التي تسودها النظم القبلية، فأصبحت ايطاليا مقسمة الى مناطق مدنية أو بلديات، تشمل كل منها على بلدة هي بمثابة العاصمة، وأراض زراعية حولها تابعة لها اداريا، وقد منحها "قيصر" استقلالا ذاتيا، ووضع لها نظاما للحكم المحلي راع أن يكون موحدا بقدر المستطاع، وصار يتولى الحكم في كل منطقة مدنية مجلس ينتخب أعضاءه انتخابا محليا ويزاولون نفس الاختصاصات تقريبا في كل البلديات، مع اختلاف الألقاب من بلدية لأخرى، وكان لهذا المجلس هيئة تشريعية عبارة عن صورة من مجلس الشيوخ الروماني، يتألف معظمه من الحكام السابقين، ومن ثم اتسّم الحكم المحلي بطابع ارستقراطي، كما هو الحال في العاصمة[1].

وقد كان لهذا القانون الفضل الكبير في ازاحة عبء ثقيل على كاهل الحكومة المركزية وعلى وجه الخصوص البرايتوريين الذين كانوا منتدبون لتصريف العدالة في هذه البلاد، وقد اشترط هذا القانون سنا معينة لكل منصب من المناصب البلدية في تلك المدن، مستثنيا من هذا الشرط كل من خدموا مدة ست سنوات في كتائب المشاة، أو ثلاث سنوات في فصائل الفرسان، أو من تمتعوا بالإعفاء من الجندية، كما حُرّمت هذه المناصب على من يزاولون مهنا معينة كدفن الموتى، وحرمت عضوية مجالس التشريع البلدية على المتهمين ببعض الجرائم، وعلى المجالدين وغيرهم من فاقدي الأهلية المدنية[2].

ومن بين القوانين التي اهتمت بتنمية تحسين وضع ايطاليا الاقتصادي، ذلك القانون الذي فتح أبواب الاستثمار أمام المواطنين، وأصحاب رؤوس الأموال في استثمار أموالهم في الأراضي الايطالية، وأكبر الظن أنه أتخذ هذا القانون ليرفع قيمة هذه الأراضي، وللتقليل من الصراع الاقتصادي بين النبلاء والفرسان[3].

وفي عام 49ق.م استصدر قانونا يمنح بموجبه الحقوق الرومانية كاملة بدلا من الحقوق اللاتينية لسكان غالة عبر البو، وهو اصلاح كان ينادي به منذ بداية حياته السياسية، ولذلك عجّل

[1] –عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص298.

[2]– ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص232.

[3]– ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 678.

بتنفيذه امتنانا منه على ما قدموه من خدمات قيمة أثناء حملاته في غالة، وبذلك أصبحت ايطاليا كلها تتمتع بحقوق المواطنة الرومانية[1].

4.الاصلاحات في الولايات:

شغلت أحوال الولايات بال "قيصر"، منذ ظهوره على مسرح السياسة، ففي سنتي 77و76ق.م لفت أنظار اليه بإقامة الدعوة على بعض الولاة الجشعين من أتباع "سولا"، وعندما تولى القنصلية عام 59ق.م ضاعف عقوبة جريمة الابتزاز وخفض بعد معركة فرسالوس الضرائب على ولاية آسيا وغيرها من الولايات الشرقية، ونقل حق جباية الضرائب من يد الملتزمين الرومان الى الحكومات المحلية نفسها، غير آبه بما قد تثيره الفرسان من سخط عليه، غير أن هذه الاجراءات لم تكن سوى علاج مؤقت فهو لم يقض على الفساد من جذوره، في آسيا وصقلية استبدل بضريبة العشور السابقة ضريبة ثابتة على الأراضي، وهو اصلاح أفاد الخزانة الرومانية أكثر مما أفاد سكان هاتين الولايتين، وحدّد مدة حكم البرايتوريين البدلاء في الولايات بعام واحد ومدة القناصل البدلاء بعامين، وجاء هذا الاجراء لمنع الولاة الذين قد تسول لهم أنفسهم احداث انقلاب، أو الاستفراد بالحكم في هذه الولاية.

أُبطل القانون الخاص باختيار حكام الولايات من بين القناصل والبرايتوريين الذين مضت خمس سنوات على اعتزالهم المنصب، وهو قانون اصلاح أداة الحكم، ومنع المرشحين لمناصب العامة من اقتراض مبالغ ضخمة على أمل سدادها بالرشاوي والأموال المبتزة من الولايات التي يسند حكمها اليهم عقب انتهاء خدمتهم السنوية في روما مباشرة، لكن رجال الحزب الارستقراطي ضربوا بهذا القانون عرض الحائط مستغلين قيام الحرب الأهلية، ورغم أن هذه الاصلاحات لم تمس جوهر النظم الادارية في الولايات، الّا أن فترة دكتاتورية "قيصر" كان لها أثر بالغ الأهمية في حياتها، اذ تصدّعت تلك الحواجز التي كانت العائق بين سكان الولايات وبين الإيطاليين لأول مرة، وقد شجع الهجرة بطريقتين اذ كان يبعث الى الولايات[2].

---

[1]– أم هاني رمضاني، المرجع السابق، ص59.

[2]– عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص304، 305.

رغم أن قيصر قد لقي مصرعه بعد عام واحد من انتهاء الحرب، لكنه استطاع في تلك الفترة التي لم تتجاوز ستة عشر شهرا أن يصدر أو يعدّ للإصدار طائفة من التشريعات التي تفوق في كثرتها وتنوعها كل ما أصدره "الأخوين جراكوس" و"سولا" نفسه، فليس هناك فرع من فروع الادارة لم يترك فيه أثرا مستديما، فضلا عن أنّ كل مادة من تشريعاته تكشف عن فطنة سياسية، وتنتزع الاعجاب وتثير الأسف على أنّ الأجل لم يمتد به لإتمام اصلاحاته.

II.العمارة والعمران في عهد قيصر:

1.العمران:

قام "قيصر" بإنشاء عددا كبيرا من المستعمرات في ايطاليا وفي الولايات، وكان السبب الأول في انشاء هذه المستعمرات، هو الرغبة في مكافأة محاربيه القدماء، بمنحهم اقطاعات زراعية على حين أن الباعث على انشاء البعض الآخر من هذه المستعمرات كان الرغبة في تحقيق هدف مزدوج اقتصادي وسياسي، وقد كان قدماء محاربي "قيصر" الذين خاضوا معه ويلات الحرب منذ ذهابه الى بلاد الغال أصحاب الأفضلية في التسريح والمكافأة، ففي عام 51ق.م أصدر مجلس الشيوخ قرارا بالنظر في حق جنود "قيصر" في ما يخص مسألة التسريح والمكافأة، والذي اعترض عليه ترابنة العامة، فصادروا هذا القرار الذي لم يكن الّا مناورة مكشوفة للتوقيع بين "قيصر" وجنوده لإغرائهم على المطالبة بالتسريح وثانيا أنه في عام 48ق.م نشبت فتنة في فرقة "قيصر" التاسعة بسبب طول خدمتها ورغبة رجالها في التسريح، ولإراحة الفرق التي حاربت في بلاد الغال والبلقان، بادر "قيصر" الى إعادة هذه الفرق جميعا الى ايطاليا فيما عدا الفرقة السادسة، بيد أنه جراء طول انتظار عودة "قيصر" لمكافأة هذه الفرق وتسريحها نشبت في عام 47ق.م فتنة عارمة قامت بها الفرقة العاشرة. -سبق لي التطرق لها-

يقدر عدد قدماء محاربي "قيصر" الذين خاضوا معه حملات بلاد الغال والبلقان وبقوا على قيد الحياة حوالي 20 ألف مقاتل، وأضف الى هؤلاء الجنود فرق أخرى كانت قد حشدت وخدمت مدة طويلة قبل نشوب الحرب الأهلية، وقد كان من حق هؤلاء أيضا التمتع بنفس الحقوق مع سابقيهم، لم يغب أمر ذلك على "قيصر" فشكل لجنة للأراضي بعد عودته من الشرق، عملت هذه

اللجنة بجد في مسح ما تبقى من الأرض العامة دون توزيع، ووضع يده على المساحات الشاغرة، وقد أكد "قيصر" على اللجنة احترام أراضي المجتمعات الايطالية وكذلك ملكية أراضي قدماء محاربي كل من "سولا" و"بومبي"، وقد كان تصرفا حكيما منه وان دلّ على شيء فإنما يدل على رغبة "قيصر" في استقرار الأوضاع وتفادي العواقب الوخيمة، التي قد تنتج عن محاولة الاعتداء على الملكيات[1].

ونظرا لكثرة هذه المستوطنات التي يصعب احصاءها ارتأيت ان آخذ مثالا عن مستوطنات "قيصر" في افريقيا التي أنشأها بعد معركة تابسوس، وسأحاول اسقاط سياسته في المستوطنات انطلاقا من سياسته في افريقيا، رغم الاختلاف من منطقة الى أخرى[2].

لقد اتخذ "قيصر" عدة اجراءات لتعميق جذور حركة التوسع في بلاد المغرب القديم، وذلك باقتطاع أجزاء من أراضي المنطقة وإلحاقها بالممتلكات الرومانية، وقد كان أخطر اجراء اتخذه هو ازالة مملكتي "يوبا الأول" و"ماسنيسا الثاني" (Massinissa2)[3] من الخريطة السياسية لبلاد المغرب حيث قام بتحويل جزء من مملكة نوميديا الى مقاطعة رومانية، وأطلق عليها اسم نوميديا الجديدة تمييزا لها عن افريقيا القديمة، التي كانت تضم الأراضي القرطاجية التي استولى عليها الرومان بعد سقوط هذه الأخيرة عام 146ق.م، حيث يحد مقاطعة افريقيا الجديدة من الشرق الخندق الملكي ومن الغرب الخط الذي يمر غرب عنابة اليوم، وغرب قالمة وجنوب غربيهما، أما عن عاصمة هذه المقاطعة فلا زالت محل نقاش بين المؤرخين، يرى البعض أنها زاما، والبعض الآخر يؤكدون على انها الكاف الملقبة

[1]– ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص684.

[2]– نادية يفصح، **"سياسة الاستيطان الروماني في بلاد المغرب القديم أواخر العهد الجمهوري –أوائل العهد الامبراطوري"**، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد 1، مج3، جوان، 2021، ص90.

[3]– **ماسينيسا الثاني**: هو ملك نوميديا الغربية عاصمته سيرتا، من 81 الى 46ق.م، تولى الحكم بعد وفاة هيمبسال الثاني الذي ترك العرش ليوبا الأول، وعمه ماسينيسا الثاني، كان مع يوبا الأول في طرف بومبي. أنظر: أم هاني رمضاني، **"أهم المقاومات الوطنية في شمال افريقيا القديم"**، مجلة تاريخ المغرب العربي، عدد3، مج1، 10 جوان، 2015، ص9.

ب"كيرتا الجديدة" عاصمة لها، وقد أسندت أمور هذه الولاية الى "سالوست" (Sallust)[1] المزود بكامل السلطات.

كان غرض "قيصر" من انشاء هذه المقاطعة هو توسيع حركة الاستيطان، حيث كان يرى أن تواجد الملك "يوبا" بالقرب من ممتلكاتهم في بلاد المغرب يشكل خطرا على المصالح الرومانية لأنه كان يعارض سياستهم، بل أكثر من ذلك فقد كان يتدخل في خلافاتهم الحزبية وبهذا الاجراء يضيف مكسبا جديدا الى الممتلكات الرومانية، وتكون نهاية للمرحلة التمهيدية لحركة الاستيطان، وبداية المرحلة الحقيقية لبسط النفوذ الروماني، وذلك باقتطاع "قيصر" أراضي أخرى من مملكة نوميديا لصالح المرتزق "سيتيوس"(Sitous)[2].

قام "قيصر" بمكافأة حليفه سيتيوس لوقوفه الى جانبه في معركة تابسوس، حيث تحصّل على أراضي هامة تمتد على طول البحر الأبيض المتوسط، وتقع غرب افريقيا الجديدة الى غاية حدود الجيتول[3]، وقد كانت على شكل امارة تضم أربع مستوطنات وهي: كيرتا قسنطينة حاليا وروسيكادا أو سكيكدة والقل وميلة، وبذلك تكون قد جمعت بين القسم الشرقي من مملكة ماسينيسا والقسم الغربي من مملكة يوبا، واثر حصول "سيتيوس" على هذه الأراضي قام بتوزيعها على أتباعه من الجند، الّا أن هؤلاء لم يكتفو بالأراضي التي منحت لهم، وتوسعوا في الأراضي الواقعة شمال كيرتا وجعلوا منها مستعمرات لهم، وهكذا يكون هؤلاء الجنود قد رفعوا الحرج عن حركة الاستيطان، التي شهدت نشاطا

---

[1]– **سالوست**: مؤرخ سياسي روماني شهير من عائلة شهيرة، تولى العديد من الوظائف، وكان أحد أعضاء مجلس الشيوخ ولكن تم طرده منه بتهمة أخلاقية، تم تعيينه حاكما على مقاطعة افريقيا. أنظر: محمد الهادي حارش، **"سالوستيوس وحرب يوغرطة – دراسة تحليلية نقدية"**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، 1988، ص51.

[2] –**سيتيوس بيبلوس**: مغامر ايطالي من اقليم كمبانيا، كان زعيما لعصابة من المرتزقة بعد أن تراجعت مكانته رجع الى اسبانيا، ثم الى شمال افريقيا، حيث بدأ بعقد اتصالات مع أكبر تجار كيرتا الذين كانوا يحتكرون تجارة القمح نحو ايطاليا، فتمكن من انشاء شركات كبرى بعد أن نقل قيصر الحرب الى افريقيا، انحاز سيتيوس اليه وناصره مقابل الحصول على بعض المستوطنات في افريقيا. أنظر: نادية يفصح، المرجع السابق، ص90.

[3]– **الجيتول**: هي مجموعة قبائل اللوبية من الرحل، كانت تقطن تخوم الصحراء بالقرب من الربوع المعتدلة حيث تتمركز قرى الماصيل والماصيصيل. أنظر: مها العيساوي، **المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم** من عصور ما قبل التاريخ الى عشية الفتح الاسلامي، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/2009، ص307.

كبيرا من بعدهم، وتعد المبادرة التي قام بها قيصر من بين الاحتياطات التي اتخذها للحفاظ على الأراضي الجديدة، بحيث أنها كانت بمثابة الجدار الحصين الذي يحمي الممتلكات الرومانية في شمال افريقيا، بالإضافة الى تشجيع الحركة الاستيطانية[1].

لم تكن نية قيصر الوقوف عند هذا الحد، فقد أضاف مستوطنات جديدة في افريقيا القديمة التي تعتبر تكملة لمحاولات "جايوس جراكوس"، حيث رأى أن الوقت قد حان لإحياء سياسة الاستيطان التي وقف مجلس الشيوخ في وجهها وقام بخطوة حاسمة في هذا المجال، حيث أرسل عددا كبيرا من المحاربين الايطاليين يقدر عددهم بألف جندي الى المستعمرات التي أنشأها كمستعمرة قرطاجة، التي قرر احياءها وتعميرها من جديد، لو لم يداهمه الموت قبل تنفيذ مشروعه الاستيطاني الذي تم تطبيقه في عهد وريثه "أوكتافيوس"، وقد عثر على هذا المشروع في مستندات كان "قيصر" قد تركها، وقد أطلق على هذه المدينة قرطاجة (Concordia Iuliacthago) مما يؤكد على أن هذه المستعمرة أنشأت باسم "يوليوس قيصر" بعد اغتياله بمدة وجيزة.

أما بخصوص هذه المستعمرة فقد اختلف المؤرخون حولها، يرى البعض أنها احتلت نفس موقع قرطاجة الفينيقية، بينما يرى البعض الآخر أنها كانت بجوارها فقط، هذا واضافة الى مستعمرة قرطاجة انشأ "قيصر" مستعمرات أخرى هي قربة (Curbis) على الضفة الشرقية، وقليبية (Clupea) في الشمال الشرقي لرأس الطيب، أما باقي المستعمرات فيصعب علينا تحديد تلك التي أسسها "قيصر"، أو تلك التي أسسها "أوكتافيوس" أو غيرها كونها تحمل نفس لقب "يوليا"، منها مستعمرة نابل، هنشير مرايسة (Carpis) وبنزرت (Hippo Diarrhytus) وزنفور (Colonia Julia Assuras) وغيرها[2].

[1]– نادية يفصح، المرجع السابق، ص91.

[2] – عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، **روما وأفريقيا** من نهاية الحرب البونية الثانية الى عصر الامبراطور أغسطس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2007. **ص**130.

قد أحسن "قيصر" اختيار مواقع هذه المستعمرات، بحيث لم يكن ذلك عملا عفويا، فقد انصب اهتمامه خاصة على مقاطعة افريقيا القديمة الساحلية نظرا لغنى أراضيها وتفتح سكانها على هذه المناطق.

لذلك يمكن الوقوف على توجهات قيصر من خلال دراسة دستور احدى هذه المستعمرات، مثلا مستعمرة "جينتيفا يوليا" (Genetiva iulia) التي أنشأها على بلدة أورصو بإسبانيا وأسماها باسم عشيرته، والربة فينوس، من دستور هذه المستعمرة الذي صدر قبيل وفاته يتبين أن بعض المواد منه منقول عن السلف، والبعض الآخر مستحدث من ابتكاره، ويبدو أنه عيّن لها أول هيئة حاكمة محتفظا لنفسه بحق تعيين الحكام في المستقبل، وقد نص على أنه لا يجوز لعضو من اعضاء مجلس الشيوخ أو لأحد من أبنائه أن يكون راعيا للمستعمرة الّا اذا كان مواطنا عاديا في ايطاليا، غير مزود بسلطة الامبريوم، وأن يوافق على اختياره ثلاثة أرباع أعضاء المجلس التشريعي المحلي، كما أنه يكشف عن رغبته الأكيدة في دعم الصناعة للمستعمرة، وحرصه على مراعاة طقوس الديانة الرسمية تحت اشراف العرّافين والكهنة، وعلى تمجيد ثالوث الكابيتول[1].

مع أن هذا الدستور لا يحتوي على أي سياسة دينية تتعارض والعادات الدينية المتبعة في الدولة، اضافة الى مادة تنص على حرية المولد ليس لها نظير في دساتير المستعمرات التي أسسها في افريقيا، ولعل "قيصر" كان يعتزم في السنة الأخيرة من حياته أن يضع العتقاء في كل من المستعمرات والبلديات على قدم المساواة مع أحرار المولد[2].

2.العمارة:

يقاس تحضر الشعوب المندثرة بالمنشآت العمرانية التي شيدوها، فهي تدل على اهتمامهم بالجانب الفني والزخرفي، كما يظهر المستوى المعيشي الذي وصلوا اليه من خلال اهتمامهم بمنشآت تؤمن الكماليات مثل الترفيه، والرومان كغيرهم من الشعوب التي تهتم بالدرجة بالأولى بالتسلية والترفيه، وعصر يوليوس قيصر تميز بالكثافة السكانية في روما، فقد ازدحمت روما بالسكان الذين بلغ

---

[1] – عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق، ص304.

[2] – **نفسه**، ص304.

عددهم في زمنه حوالي مليون نسمة، وترتب على ذلك صعوبة حفظ الأمن، وبصفة خاصة في الأحياء المكتظة بالفقراء في قلب المدينة، فإنه وضع مشروعا لإعادة تخطيط وسط المدينة ليخفف من تزاحم المساكن وهو مشروع خرج الى حيز التنفيذ على عدة مراحل في عهد الأباطرة، ووضع مشروعا آخر لصيانة شوارع روما وضواحيها، وتنظيم حركة المرور فيها، واستخدام الأراضي العامة[1].

وجّه "قيصر" عناية كبيرة الى تجميل مدينة روما، فأقام فيها عددا من المنشآت العامة، كان من أهمها: فوروم يوليوس (Forum Julium) (أنظر الملحق رقم 7 ص 122) من أهم المنشآت التي تميزت بها العمارة الرومانية، حيث كانت مركزا عاما للتجارة والاجتماعات وقد زادت أهمية الفوروم بازدياد قوة روما حتى أصبح مراكز المدينة، كانت عبارة عن ساحة مستطيلة الشكل عرضها يساوي ثلثي طولها ويحاط بها الصالات المعمدة المسقوفة، ويتناثر حولها المباني العامة والحوانيت وفي الأيام العادية، كان هذا المكان يستعمل كسوق للبيع والشراء، ثم أصبح مكانا للاجتماعات العامة، وكذلك استعمل في الانتخابات والاجتماعات السياسية، كذلك أقيمت في جانبه الغربي منصة مرافعة للخطباء، وفي شماله أقيمت قاعة للاجتماعات الفئة الحاكمة[2]، وقاعة عامة كبيرة لانعقاد المحاكم وعقد الصفقات التجارية والمالية، وهي القاعة المعروفة بباسيليكا يوليوس (أنظر الملحق رقم 8 ص122)

باسيليكا يوليوس (Basilica Julia) وهو من المرافق الأساسية للفوروم الروماني بعد المعبد نجد الباسيليكا الرومانية التي تعتبر قاعة كبيرة ومبنى عمومي مخصص للمهام القضائية العدالة والتجارة وكذلك الفصل في القضايا سواء كانت اجتماعية أو مالية أو ادارية، كما تقام فيها الجلسات السياسية، وأصل كلمة باسيليكا اغريقي انحدر من كلمة سطو (Stoabssilike)، وهو بمثابة فوروم مغطى يجتمع فيه المواطنون للاحتماء في الظروف الطبيعية وأحوال الطقس بصفة خاصة، وهذا من

[1]– عبد اللطيف أحمد علي، (عصر الثورة...)، المرجع السابق ، ص294.

[2]– عزت زكي حامد القادوس، **مدخل الى علم الآثار اليونانية والرومانية**، دار الكتب، الاسكندرية، 2007، ص165.

أجل القيام بالأنشطة الاقتصادية والإدارية، ويراعى في انشائها عدة شروط منها أن تكون في الأماكن العمومية والنواحي الأكثر دفئا[1].

كما أقام قيصر معبدا للإلهة "فينوس" (أنظر الملحق رقم 9 ص 123) وهي الالهة التي كانت عشيرته تزعم أنها تنحدر من نسله، وهي احدى أهم الإلهات الرومانية، كانت أساسا الهة الحب والجمال، ولكنها فيما بعد باتت ترمز الى القوة الخلّاقة التي تمد بأسباب الحياة، وهي تقابل أفروديت عند اليونان، وكانت تعتبر أم الرومان جميعا[2]، وعند مجيء كليوباترا الى روما صنع لها قيصر تمثالا من الذهب ووضع مقابلا للإلهة "فينوس" وكان أحد الأسباب التي جلبت له العداء، كان من المعتقدات السائدة في روما أن "قيصر" من كليوباترا وأن يعترف ببنوة الغلام الذي استولدها اياه، وراج الظن بأن "قيصر" سوف يضيف الى السلطة المطلقة التي كان يمارسها في العالم الروماني صولجان الملك، وأنه كان يحاول أن يؤسس قيصرية مترامية الأطراف الاسكندرية عاصمتها الأولى، قد خشي الرومان أن تكون هذه مطامع "قيصر" فشعروا بالقلق من هذه الاشاعة كما أحسوا بأن العزة الرومانية قد خدشت في أعز ما لديهم، وأن أمانيهم أخذت تنهار و أن أقدس ما تطلعوا اليه بدأ ينحل ويتبخر اذ خيّل اليهم أن سيادة روما على الدنيا قد لا تتحقق وينهار هذا الحلم في ساعة واحدة، ومما لاشك فيه أن الرومانيين اذ تصوروا أن روما مهددة بالانقسام منذرة بالخراب، فإن ذلك بعث في قلوبهم أشد الحزن وزرع في قلوبهم القسوة وحب الانتقام، أتهمت كليوباترا بأنها مصدر الشر ومبعث القلق ومنبت الفساد لقد تضاعف في قلوب الرومان مقتها، اذ يعتبرونها صاحبة الأفكار الشرقية التي تدور في خلد "قيصر" منذ مجيئه الى روما[3].

ومن بين المشاريع التي لم يتسنى لقيصر تحقيقها والتي اشرت لها في الفصل الثاني أنه خطّط لطمر البحيرة التي حفرت خصيصا لإقامة المعركة البحرية الصورية، ليقيم مكان هذه البحيرة معبدا ضخما للإله مارس، وكانت من ضمن مشاريعه كذلك تغيير مجرى نهر التيبر لتتفادى العاصمة بذلك

[1]– الهام سعايدية، **دراسة معمارية ومقارنتية بين معلمي فوروم تيمقاد وتيبيليس**، مذكرة ماستر آثار قديمة، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2017/2016، ص15،14.

[2]– ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص676.

[3] – اسماعيل مظهر، **قيصر وكليوباترا**، مؤسسة الهنداوي،المملكة المتحدة، 2014، ص 54.

خطر فيضاناته، وكان في مخططه أيضا انشاء مسرح روماني ضخم على جرف تاربيا، وانشاء عدد من المكتبات في ربوع روما بعد تأثره بمكتبات الإسكندرية التي زارها عند ذهابه الى مصر والتي تأثرت بالحريق الذي نشب في اسطوله، وبالفعل أسند الى الخطيب الكبير "ماركوس فارو" (Marcus Varro)[1] مهمة جمع وتصنيف الكتب اللازمة لهذا السبب، وفضلا عن ذلك كان يريد أيضا تعميق ميناء أوستيا وتوسيعه بحيث يصبح قادرا على الإيفاء بمتطلبات عاصمة الامبراطورية، واعتزم أيضا تجفيف كل المستنقعات القريبة من أوستيا واستصلاح أراضي واسعة للزراعة بعد تجفيفها، كما اقترح عمل تلال كبيرة في أقرب ساحل بحري الى روما ليمنع طغيان مياه البحر على اليابسة، وتنظيف الساحل قرب أوستيا من كل الصخور والرمال التي تعيق رسو السفن هناك، وانشاء مرافئ وموانئ صالحة لاستقبال عدد كبير من السفن[2]، غير أن هذه المشاريع التي تم التخطيط لها واقرارها لم تخرج الى النور ولم تجسّد على أرض الواقع بسبب مؤامرة الاغتيال التي تعرض لها "قيصر".

لم تكن الأعمال التي شرع فيها "قيصر" أو فكّر فيها ولم يكتب لها التدشين بسبب قتله أقل شأنا من الأعمال التي تمت فعلا، ومن هذه الأعمال الأولى أنه وضع أساس ملهى عظيم، ومعبد "للمريخ" وأشار ببناء جسور حول التيبر، وأمر مهندسيه بأن يعدوا مشروعا يرمي الى انشاء طريق يخترق وسط ايطاليا من الشرق الى الغرب، والى حفر قناة في برزخ كورنثا[3].

[1]- **ماركوس فارو**: هو كاتب روماني ولد في سنة 116ق.م، عرف أيضا باسم فارو ريتينوس تمييزا له عن الشاعر فارو أتاسينوس ولد فارو لعائلة من طبقة الفرسان، بدأ حياته كقائد في جيش بومبي، أصبح بعد ذلك مواليا ليوليوس قيصر وخدم معه كقائد عسكري خلال الحرب الأهلية بعد ذلك خدم مع أغسطس قيصر، وأصبح كاتبه الشخصي، وألف أكثر من 74عمل باللغة اللاتينية، أنظر: أحمد عثمان، **الأدب اللاتيني** ودوره الحضاري، عالم المعرفة، (د.م.ن)، 1989، ص175.

[2]- بلوتارخ، المصدر السابق، مج3، ص 1365.

[3]- ول وايرل ديورانت، المرجع السابق، ص397.

II.الأدب والتاريخ والخطابة:

1.مؤلفاته التاريخية وأسلوبه الأدبي:

لم يكرس "يوليوس قيصر" حياته للآداب، فقد كان أرستقراطيا دون ثروة، رغم هذا لم يتخذ قلمه للكسب أبدا، الّا أنه تلقى تكوينا متينا في منزله على يد معلمه "جنيفو" –سبق وتطرقت اليه– ثم أكمل دراسته ما بين 76و74ق.م على يد الأستاذ الشهير "أبليوس مولون" (Apollius M) ولذلك فإن بلاغته بالنسبة لمعاصريه تعادل بلاغة "شيشرون".

كان قيصر في فترة شبابه مسكونا بحب الآداب، ومعجبا بـ"هرقل" وبـ" تراجيديا أوديب" وهو شاهد على نفوذ الاغريق وتأثيرهم حيث درس مؤلفاتهم وأعمالهم الأدبية، ورغم ذلك فإنه لم يضف بأعماله الأدبية هذه أمجادا الى أمجاده في السياسة والجندية، لأن أعماله ظلت محظورة بعد وفاته لفترة، فقد أوعز الامبراطور "أغسطس" الى مندوبيه على الأرشيف بإخفاء أعمال "قيصر" وسحبها من المكتبات، وخاصة كتاب (Apophtegmata) وهو ديوان يضم الأمثال والجمل البليغة، وكان خير مسل لرجال الثقافة والآداب آنذاك[1].

اذا تحدثنا عن "قيصر" كأديب أول ما نلاحظه أنه ذو شخصية طاغية بقوتها وتفردها، فإن مؤلفاته هي أيضا تتمتع بسحر خاص، كتب عن "القياس" كتابا باللغة اللاتينية درس فيه عدة نظريات وردت في كتاب في الخطابة لـ"شيشرون" دفاعا عن النقاء اللغوي الذي تميز به أسلوبه، وقد قام بتأليف هذا الكتاب أثناء عبوره جبال الألب في عام 54ق.م، وفي طريقه الى اسبانيا 46ق.م نظم قصيدة شعرية بعنوان" الطريق" وفي عام 45ق.م نشر رسالة هجاء من جزئين وكتابان بعنوان "ضد كاتو" للرد على الانتحار البطولي لخصمه "كاتو"، ويدخل هذان الكتابان في باب المقالات

[1]– العربي عقون، **المؤرخون القدامى** غايوس كريسبوص سالوستيوس (86–35ق.م) وكتابه حرب يوغرطة، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص13.

الأدبية المتداولة أثناء الصراعات السياسية، ول" قيصر" أيضا رسائل كثيرة لم يصلنا منها الّا تلك التي حفظها "شيشرون" في رسائله[1].

و له عمل آخر في الحرب الغالية بعنوان (De Bello Gallico) جاء في سبعة أجزاء، يعتقد كتّاب كثيرون بأن كل كتاب من الكتب السبعة التي خطّها قيصر حول الحرب الغالية، قد كتب ونشر منفصلا عن البقية عند نهاية كل حملة صيف كان يقوم بها، الّا أن الاحتمال الأكثر ترجيحا على وجه العموم، هو أن هذه الكتب قد ألفت جميعها في خريف عام 52ق.م بعد هزيمة "قيصر" لـ "فيرسينجوريكس" وأنها اكتملت مع نهاية ذلك العام، ويشير "هيرتيوس"(Hirtius)[2] في مقدمته للكتاب الأخير الى السهولة والسرعة التي كان يكتب بها "قيصر"، وبصرف النظر عن ذكرياته الشخصية التي يسردها في كتبه، فإنه ما من شك في أنه قد جمع لكتبه تلك نسخا من الرسائل التي بعث بها الى مجلس الشيوخ الروماني بعد كل حملة كان يقوم بها، كما استند الى التقارير التي كانت ترفع اليه من ضباطه وجنرالاته، وكذلك الى المذكرات التي كان يعدها بنفسه خلال مجرى الحرب، يعرف هذا العمل الذي أنجزه "قيصر" عموما بكتاب "الحرب الغالية"، انما يبدو أن عنوان الطبعة الأصلية كان يحمل اسم "آراء غايوس يوليوس قيصر حول انجازاته"[3].

ان "قيصر" لم يعتبر كتابه عملا تاريخيا كاملا، بل مجرد جمع لمادة يستفيد منها مؤرخ المستقبل، غير أنه قد دوّن مؤلفه هذا بصدق متميز، بحيث لا يمكن لأي انسان سليم العقل أن يفكر بمحاولة كتابته مرة أخرى، يقدم "قيصر" عمله "الحرب الغالية" كبداية لعمل تاريخي يدعوا المؤرخين الى اتمامه، وضعه في أسلوب وسط بين أسلوب الرواية المجرد من زخرف اللفظ، وأسلوب التنميق الخطابي، في وقت أصبح فيه التاريخ يبحث عن شكل مميز له، وعلى اعتبار أنه مؤرخ فإنه استعمل أدوات المؤرخين في انجاز عمله، ولكنه ككاتب مذكرات أدخل هذا الأسلوب في الأسلوب السائد آنذاك في

[1]– أحمد عثمان، (**الأدب اللاتيني**...)، المرجع السابق، ص173.

[2]– **أولوس هيرتيوس** (Aulus Hirtius): هو صديق قيصر وأحد جنوده، كان مرافقا له في معظم حملاته، والذي يحتمل أنه خدم لديه كأمين سري، أنتخب لقنصلية 43ق.م، وقتل في معركة خاضها ضد أنطونيوس في مودينا في نيسان من ذلك العام، أنظر: راديس بيتي، المرجع السابق، ص26.

[3]– نفسه، ص26.

روما وهو أسلوب الحوليات، فقد كانت الحوليات آنذاك هي الاطار التقليدي لأعرق الكتابات، حيث كانت فيه المادة متقطعة وموزعة سنة بعد سنة وفصلا بعد فصل[1].

أما كتاب "الحرب الأهلية" يبدو مختلفا بعض الشيء، لأن الكتابين الأولين معا مخصصان لسنة واحدة وهي سنة 49ق.م، أما الثالث فيتناول احداث عام 48ق.م ولا نعرف شيئا عن زمن كتابة هذا المؤلف، كما أن الكتاب الثالث غير كامل، ويبدو العمل برمته كأنه تخطيط رديء أو رسم الخطوط العريضة، أي أنه لم يحظَ بالصياغة النهائية والدقيقة التي حظيت بها الحروب الغالية، ولقد تعرّض لكثير من الانتقاد، ومن المحتمل أن "قيصر" قد ألّف هذا العمل عام 47ق.م وهو في عجلة من أمره، وقد استعان "بضباطه وأصدقائه" مثل "هيرتيوس" الذي اعتاد كتابة التقارير العسكرية له باعتباره ضابطا في الجيش مكلفا بأمانة السر، وما من شك أنه قد جمع وثائق كل كتاب ولذلك سهُل عليه اكمال أعماله، ولعله أيضا قد أكمل الأعمال الأخرى لـ "قيصر" (الحرب الاسكندرانية، الحرب الافريقية، والحرب الاسبانية)[2].

2.نقد مؤلفاته:

عند تحليل نصوص أعمال "قيصر" نلاحظ ترتيبا تسلسليا فيها أولا بأول، كما أنجزها بداية بالرسائل التي تلقاها والتقارير التي سجلها، ثم نماذج من النصوص التي نقلت وقطع أضيفت لضرورة التحرير، واضافات أخرى الى الوثيقة الاساسية، عادة ما توضع ضمن إطار، ورغم وجود بعض الغموض في التفاصيل وحتى بعض التناقضات، فإن اعتماد التبسيط يسهّل تتبع الخطوط العريضة في رسم الحادثة التاريخية ويترك انطباعا عاما بنزاهة المؤرخ[3].

ان هذا الأسلوب في بناء الحادثة التاريخية يفضي في النهاية الى الاستنتاج بأن الأساس المعتمد عليه، يبنى على التسلسل الزمني أثناء سرد الوقائع التاريخية، وتقسيم النص الى أجزاء كل جزء يمثل حلقة في سلسلة التتابع الزمني، ولذلك نلاحظ أن اعماله تمر دائما بمراحل التالية: (الانطلاق

[1] – أحمد عثمان، (الأدب اللاتيني...)، المرجع السابق، ص175.

[2]– العربي عقون، المرجع السابق، ص 15.

[3]– نفسه، ص 16.

والمسير، عبور الانهار والبحار، الخطب الملقاة، عمليات الحصار، المعارك)، وحسب مبادئ البلاغة فإن تركيب هذه العناصر وربطها ببعضها يجعل الحياة تسري في عروق التاريخ مما يوقظ الحس الدرامي ويشد الانتباه، فالكتاب الأول من الحرب الغالية، والكتاب الأول من الحرب الأهلية غنيان بالخطب التي تفسر بدايات الحرب، وفي الجزئين الخامس والسابع من الحرب الغالية، يمكن التعرف على التسلسل والدورة، (فوز، هزيمة، ثم انتصار)[1].

وفي مضمار هذا الجانب الجمالي يظهر "قيصر" الأمور التي يريد ان يرسّخها في ذاكرة مجلس الشيوخ والعالم الروماني، كالإلحاح على الوقائع التي تبرر هجوما ما، حيث يتحول منطق الخطب الى تبرير يبرز هذه الوقائع بأسلوب أشبه بأسلوب الروايات، كما أن كل فشل أو هزيمة يكون مسبوقا بسرد للأسباب أو الظروف التي تجعل القارئ طبيعيا ويرى الموقف منطقيا ومبررا[2].

يبدو أسلوب "قيصر" موحدا وواضحا مع بعض من التعقيد حسب العمل وأغراضه بحيث يمكن التمييز بين التقنيات العامة وأسلوبه الذاتي، كما أنه يعتمد في كتاباته على النقاوة في اللغة والنحو، فإنه يضع مبدأ القواعد الخطابية أساسا لانتقائه اللفظي، وقد عبّر عن هذه القواعد الخطابية بالتفرد البلاغي القيصري من خلال الابحاث الكلاسيكية فإنه كان يتجنب المصطلحات المدققة، فمثلا يسمي سفينة حربية دون أن يدقق في تسميتها ما اذا كانت مجذافية ثنائية أو ثلاثية وهو يطبق هذه الطريقة في تسميته للآلهة الغالية، حيث أطلق عليها أسماء الآلهة الرومانية، وغالبا ما يعتمد في أسلوبه على ما يمكن تسميته بفن الكناية والاستعارة وهو أيضا يتجنب في أسلوبه ضمير المتكلم بل يستعمل ضمير الغائب، ودائما ما يضع مكانة خاصة لشخصه حيث يفرض أفكاره ومواقفه وآراءه الى درجة أنه يريد أن تكون حقائق لا يمتد الشك فيها، مثل الانقاص من شأن بومبي واسقاط الشعور الجماعي، الذي يحرك وينشط المقاومة الغالية، ويدمج الآلهة الغالية ويلحقها بالآلهة الرومانية، كل هذا أمثلة عن الشهرة الموجهة[3].

[1]– أحمد عثمان، (الأدب اللاتيني...)، المرجع السابق، ص 177.

[2]– العربي عقون، المرجع السابق، ص16.

[3]– راديس بيتي، المرجع السابق، ص27.

لقد طعن بعض النقاد القدامى والحديثين بمصداقية رواية "قيصر" حتى أن بعضهم لم يتردد في اتهامه بالكذب المتعمد والمتكرر، وأما من ناحية أخرى يتفق كل خبراء النقد على أن هذه الاتهامات لا أرضية ولا أساس لها قطعا، ان مثل هذا الادعاء المستقل على لسان بعض الكتّاب القدامى، انما يؤكد عموما صحة ودقة وصدق ما جاء به "قيصر" في روايته، كما أن التناقضات القليلة والبسيطة التي تظهر في بعض فقرات كتاب "الحرب الغالية" ليست سوى أخطاء أو هفوات للذاكرة، لابد من ان "قيصر" قبل شروعه بتأليف كتابه قد تعامل مع مقدار كبير من الوثائق التي كتبت في أوقات مختلفة سواء من قبله أو من قبل الآخرين، لذلك من الواضح جدا أنه كان في عجلة شديدة من أمره لم تمكنه من ملاحظة القضايا التفصيلية الصغيرة التي تتناقض حولها الوثائق، أو أنه تجاهلها لأنه لم يعتقد أن موضوع تسوية التناقضات أمر جدير بالاهتمام، وفي الوقت ذاته فإنه من العبث أن نفترض بأن "قيصر" قد روى كل شيء يستحق أن يروى، فهو ليس من الأشخاص الذين يهتمون بنشر دوافعهم الحقيقية وراء أفعالهم

وكما يقول أحد المحررين الحديثين لكتاب الحرب الغالية فإن المذكرات ليست اعترافات، ومن الوارد جدا أن "قيصر" كان في غاية الحذر والتحفظ حينما كان يختار ما يريد التحدث عنه، فهو لا يذكر شيئا عن طموحاته الشخصية، كما أنه لا يذكر شيئا عن الثروات الهائلة والطائلة التي جمعها هو وبعض أصدقائه من خلال سلب الغاليين ونهبهم واستغلال ثرواتهم، فإن من يقرأ رواية "قيصر" قراءة عابرة لن يتمكن من التوصل الى الاستنتاج بأن حملاته على ألمانيا وبريطانيا كانت فاشلة من ناحية أنها لم تحرز نتائج دائمة أو ثابتة، كما ان تكتم "قيصر" في رواياته لا يعطي الحق في اتهامه بالتزييف المتعمد للحقائق[1].

لقد كانت مؤلفات "قيصر" باللغة اللاتينية واضحة وذات فكر متميز وبعد نظر متبصر وأسلوب شيّق اتصفت بالسهولة والواقعية الاتزان، وقد تخلى عن أي محاولة مقصودة لجعل الكتابة منمقة أو مزخرفة أو ذات تأثير درامي، كما أنه تحاشى الاطناب والمبالغة، لهذا أحدث نوعا من التأثير

---

[1]-. راديس بيتي، المرجع السابق، ص27 .28.

الكبير، وقد احتوت على الكثير من الوصف الحي والمفصل للأماكن التي وقعت فيها الأحداث، الّا أن الأحداث نفسها قد سجّلت على أقل ممكن من التعقيب والتعليق[1].

وبشكل عام يمكن القول أن مؤلفات "قيصر" قد كتبت بأسلوب موضوعي بعيد كل البعد عن ما هو شخصي، أشبه بالأسلوب الذي يكتب فيه بيان رسمي، أما بالنسبة للاستطرادات التي تظهر في بعض مقاطع الرواية في مجال الجغرافيا أو التاريخ الطبيعي أو بالتقاليد القومية للشعوب، فإنها قد لا تكون من صناعة "قيصر" شخصيا، وانما أدخلها على روايته من أجل تنوير القارئ وزيادة ثقافته، علما أن بعضها يحمل شيئا من الخطأ، وقد اشتقّها من خرائط وشائعات، ليست من عمله أو ملاحظته الشخصية، ومن الأمور المميزة لأسلوب "قيصر" الجمع بين الوضوح في عرض الأشياء والايجاز المحكم في تقييمها وهذا ما نلاحظه في وصف المشاهد، فالهدف ليس تقديم صور طبيعية ومناظر خلابة، وانما المشهد الاجمالي لخلفية الاحداث من خلال رؤية قائد عسكري كان هو الفاعل الأول فيها[2].

ان هذه المؤلفات بالنسبة لـ"قيصر" هي أداة للبقاء حاضرا في أذهان الرأي العام، سواء عند عودته من غالية أو لدى انطلاقه في توسعاته الكبرى في الشرق، وقد صنعت ضجة كبيرة في الأوساط السياسية والأدبية المتكونة من أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان، وكان قد أحدث أثرا كبيرا فيها كما تفعل المقالات التي تنشرها الدوريات الآن[3].

3.الخطابة:

ان الخطابة لا تنمو الّا تحت شمس الحرية، ولم تكن حياة الرومان متمتعة بحرية كافية، ولكن ظهر فيها بين الحين والآخر خطباء، وبرزت في تاريخ روما مواقف خطابية عظيمة، ذلك أن الشدائد وأزمات الحياة تدعوا الى الخطابة وتظهر الخطباء، وكان لها وقع وأثر في نفوس السامعين[4]، ومن بين

[1]– أحمد عثمان، (الأدب اللاتيني...)، المرجع السابق، ص178.

[2]– راديس بيتي، المرجع السابق، ص28.

[3]– أحمد عثمان، (الأدب اللاتيني...)، المرجع السابق، ص174.

[4]– عبد الجليل عبده شلبي، **الخطابة واعداد الخطيب**، ط1، دار الشروق، (د.م.ن)، 1981، ص158.

الخطباء الذين ظهروا في هذه الفترة "يوليوس قيصر"، لكن ومن سوء حظه أنه عايش فترة الخطيب البارع المتمكن "شيشرون" الذي ورغم شهرته في هذا المجال، وبغضه الشديد لـ"قيصر" لكنه اعترف بموهبته ومهارته الخطابية، مع ذلك لم تتطرق المصادر الى الكثير عن "قيصر" الخطيب، فقط خطبتان كانا لوقعهما في نفوس العامة أمر جلل: الأولى عند وفاة عمته وزوجته، حيث ألقى خطبة تأبينية ذكر فيها أمجاد عائلته وأصلهم الشريف، وسبق لي الحديث فيها، أما الثانية فكانت دفاعا عن نفسه، بعد التهمة التي تلقاها من مجلس الشيوخ وبالضبط من "كاتو" بعد أن اتهمه بالتواطؤ مع كتالينا، على غرار خطب أخرى ألقاها على مسامع مجلس الشيوخ لزوم السياسة.

في حادثة يمكن ان نراها طريفة، أنه وعندما كان ذاهبا الى "رودس" لتعلم الخطابة على يد الخطيب الشهير "أبولونييس مولون" معلم البلاغة والبيان الشهير وكان رجلا معرفا بالعلم والفضل ومن بين تلامذته "شيشرون"، اعترضه في البحر قراصنة، وطلبوا فدية بعشرين تالنتا، هزأ بهم قائلا أنهم لم يقدروا قيمة أسيرهم، وتعهَّد لهم من تلقاء نفسه أن يرفع الفدية الى الخمسين، وأرسل في حال بعضهم الى عدة أماكن لجمع مال الفدية، احتقر آسريه ولم يأبه بهم، حتى أنه كان وقت نومه يرسل اليهم أمرا بأن لا يحدثوا صوتا، وظل يسرح ويمرح بينهم زهاء ثمانية وثلاثين يوما، ويروّح عن نفسه بمشاركتهم بألعابهم وتمارينهم، كأنهم ليسوا آسريه بل حراس له[1].

وكان ينظم القصائد ويكتب الخطب ويسمعهم إياها كأنه تدريب له، شملت مواضيع خطاباته جميع المواضيع التي كانت ذائعة آنذاك بمدارس البلاغة، حتى أنه في هذه الفترة ألّف كثيرا من الشعر، ونظّم حلقات يقرأ فيها قصائده للسامعين، فلم يجد منهم أي ردة فعل، اذ يصفهم أنهم كانوا عاجزين تماما عن تذوق أي محسنات بيانية، وكثيرا منهم كانوا عاجزين حتى عن متابعة أي نقاش منطقي، وكثيرا ما كان يضيق بهم وينفذ صبره حينما يلمح شرود ذهنهم وهو يلقي الخطاب، أو عندما كان يضل أحدهم الفهم فيرى الفكاهة فيما أعدّ ليثير كوامن الاشجان، فكان يوبخهم وينعتهم بكل صنوف النعوت الجارحة بعد أربعين يوما من الأسر، تم تحريره لكنه عاد وقتلهم جميعا، وأكمل طريقه لتعلم الخطابة وصقل فصاحته الخطابية، التي ذاعت شهرتها، بحيث وصل في خطابته على الأقل الى الدرجة التي وصل اليها أعظم الخطباء، اذ لم يكن قد تفوق عليهم، ولما أشار "شيشرون" الى عظماء

[1]– بلوتارخ، المصدر السابق، مج3، ص 1326.

الخطباء قال ان "قيصر" لم يكن أقل من أي واحد منهم، ولكن "قيصر" استخدم الخطابة كسلاح آخر[1].

لقد ساهم "قيصر" مساهمة قوية في صناعة الجانب الحضاري الروماني في تلك الفترة من خلال مؤلفاته التي بقيت الى اليوم مصدرا مهما في يد المؤرخين، والاصلاحات والتدابير التي وان لم يلحق على ترسيخها، فقد تبنّاها الأباطرة من بعده بداية من "أوكتافيوس أغسطس"، وشملت جميع ميادين الحياة الاقتصادية، والاجتماعية وحتى السياسية منها، وان كانت احداها قد جلبت له نقمة الكائدين، كما أنه اتّخذ من الخطابة وسيلة لخدمة أغراضه السياسية، لذلك لم يعرها الاهتمام اللازم، ورغم هذا أخذ اعتراف أشهر الخطباء الذين وضعوه في مرتبة المنافس.

[1]– الحسيني الحسني معدّى، المرجع السابق، ص80.

الخاتمة

ليس من الهيّن دراسة موضوع من المواضيع التي أحدثت خلافا مطولا في أوساط الباحثين بين مؤيد ومعارض، ولكلٍ وجهة نظر يدافع عنها بحسب ما يراه ملائما، وشخصية "يوليوس قيصر" من الشخصيات المهمة التي مرت في تاريخ روما، والتي أحدثت جدلا كبيرا بالنظر الى منجزاته السياسية والعسكرية والحضارية، ومن خلال البحث في موضوع **"يوليوس قيصر وبوادر النظام الامبراطوري"** توصلت لمجموعة من النتائج أدرجها فيما يلي:

- حظي "قيصر" بنصيب وفير من المواهب المتعددة الجوانب مالم يحظ به الكثيرون غيره من عمالقة التاريخ، ذلك أنه كان سياسيا بارعا وحاكما قديرا، ومصلحا نبيها، وكاتبا روائيا فذا وعسكريا ممتازا وقائدا من الطراز الأول، مما لا يترك مجالا للشك بأنه كان رجلا عبقريا.
- أيقن "قيصر" كل اليقين أن النظام الراهن –النظام الجمهوري- لم يعد يجدي نفعا وكان لابد من تدخل طارئ للحد من نفوذ الطبقة المنتفعة من الوضع الذي آلت اليه روما، لذلك عرفت فترته ازدراء لأعلى سلطة في الجمهورية وهي مجلس الشيوخ.
- غيّر "قيصر" نظام الحكم من الحكم الجمهوري الى الحكم الفردي الذي لم تظهر معالمه او بالأحرى لم تكتمل بسبب وفاته التي سرَّعت من كتابة النهاية لما كان يخطط له "قيصر" ألا وهو السير بخطى سريعة نحو النظام الامبراطوري الذي أتمه "أغسطس" من بعده.
- مهما يكن نوع نظام الحكم الفردي الذي كان "قيصر" يريد اقامته، فأغلب الظن أن الباعث على اختياره لم يكن حب السلطة المطلقة بقدر ما كان ايمانا منه بأنه في ظل ظروف روما الراهنة وبعد التجارب المريرة التي مرت بها الجمهورية لم يعد يصلح لمواجهة مشاكلها إلّا مثل هذا النظام، اذ لم يكن اختياره لنظام الحكم اعتباطيا، وانما بعد دراسة مطولة وعقلانية.
- لم يصل نظام الحكم في روما الى ما وصل اليه، الّا بقطع أشواط كبيرة ذات أحداث متسارعة بداية من اصلاحات الأخوين "جراكوس" التي يعتبرها بعض المؤرخين النواة الأولى للحروب الأهلية، ورغم فشلها لكنها نجحت في تشكيل حزب معارض للتقاليد والقواعد الدستورية

الرومانية، بعد أن أصبحت جثة هامدة وان ظل يتشبث بها بعض الخيالين الذين توهموا أنه كان لا يزال في الامكان النفخ في صورتها وبعثها من جديد.

- القضاء على الأخوين "جراكوس" كان مفتاحا لفتح باب العنف في العصر الجمهوري لروما، الذي لم يغلق الّا بنهاية هذا العصر، فالحروب الاهلية التي عرفتها روما في القرن الأخير قبل الميلاد كانت أكثر الفترات دموية، توجس فيها الرومان من الأوضاع وحبسوا انفاسهم ولم يتنفسوا الصعداء الا بعد السلام الروماني الذي أقامه أغسطس فيما بعد.
- احتدم الصراع الحزبي في فترة "قيصر" بين الطبقة الارستقراطية المتحكمة في زمام الأمور والمعارضة لأي اصلاح يمس مصالحها الشخصية وحزب العامة الذي ضاق ذرعا بالأوضاع التي آلت اليها روما.
- مجلس الشيوخ كان صاحب الكلمة القوية والمتحكم الأول في جميع السلطات، ولكن وبعد التوسعات التي شهدتها روما لم يعد حكم هذه الجماعة يفي بالغرض، فتعرضت للضعف الذي ظهر جليا بعد استنجادها بالقادة العسكريين الذين تمكنوا من صناعة جيوش كان ولاؤها لأسيادها لا لوطنها مما مهّد لقيام صراع بين قادة هذه الجيوش، أدى في الأخير الى نشوب حرب أطلق عليها المؤرخون الحرب الأهلية الأولى.
- انتهت الحرب الأهلية الأولى بتغيير موازين القوة، والرجوع للحكم الفردي الذي تخلت عنه روما منذ آخر ملك أتروسكي، وهذا بعد أن تمكن "سولا" من الاستفراد بالحكم واعلان نفسه دكتاتورا وفرض نفسه بالقوة، واقامة دستور الغرض منه ارجاع مكانة مجلس الشيوخ وهيبته بعد أن فقدها منذ اصلاحات الأخوين "جراكوس"، ليضمن بقاء السلطة في يد الطبقة الارستقراطية بعد انسحابه.
- تعد الفترة التي تلت الحرب الأهلية الأولى فترة بزوغ نجم بعض القادة العسكريين على رأسهم "بومبي" الذي استغل ضعف مجلس الشيوخ وانتصاراته العسكرية والامتيازات غير الدستورية التي منحت له ليصبح الرجل الأول في الدولة مما أشعل نار الغيرة بين القادة، على رأسهم

"كراسوس" الذي بدأ مجموعة مؤامرات ودسائس سمحت لـ"قيصر" بالظهور على الساحة السياسية وانشاء جبهة شعبية مكنته من احياء حزب "ماريوس" والدفاع عليه.

- بعد الفشل الذريع لمؤامرات "قيصر" و"كراسوس" ضد "بومبي"، لم يستسلم "قيصر" للأمر الواقع بل بذل جهدا للوصول لأعلى المناصب السياسية انطلاقا من مهنة كوايستور التي ضمن بها مقعدا في مجلس الشيوخ، وصولا الى مهنة الكاهن الأكبر التي منحته المزيد من الحقوق وعُين بعدها برايتورا في اسبانيا التي حقق فيها نجاحات أكسبته ولاء قبائل تلك المنطقة.
- رغم أرستقراطية "قيصر" الا انه اكتسب مكانة ونال مناصب كونه دافع عن العامة وعادى بصورة تقليدية حكم الاقلية المتمثل في مجلس الشيوخ، وبعد أن ذاع صيته في روما بعد الانتصارات المحققة في اسبانيا توجس خيفة منه مجلس الشيوخ، فعوض تكريمه واحتضانه قرر التصدي له واحباط محاولة ترشحه للقنصلية، كان وضع "بومبي" لا يختلف كثيرا فبعد عودته من الشرق لقي نفس المعاملة مع "قيصر" من جفاء ونكران للجميل.
- إعراض مجلس الشيوخ عن كل من "قيصر" و"بومبي" أدى الى نشوء فكرة جديدة لم تكن رائجة آنذاك، وهي فكرة انشاء حلف أو حكومة من ثلاثة أشخاص بمعزل عن الجانب السياسي أي باتفاقات بينهم، لتحقيق أهداف ومصالح شخصية في الغالب تخدم كل طرف من أطراف الحلف.
- تمكن "قيصر" بذكائه الممزوج بقوة الشخصية والقدرة السياسية والعسكرية من قلب الطاولة على الجميع عن طريق جمع الأقطاب التي كان يراها مناسبة لتشكيل الحكومة معه، فاختار "بومبي" ومجده العسكري و"كراسوس" أثرى أثرياء ذلك العصر، فاستطاع أن يمزج كل هذه الامكانيات ليخرج بتنين بثلاث رؤوس كما يسميها البعض.
- استطاع "قيصر" الوقوف بوجه كل القوى التي كانت معاصرة له، كما فرض هيمنة الحكومة التي فرضت نفسها على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها بقوة، كما أنه وبفضل الحلف اكتسب العديد من الامتيازات بداية من وظيفة القنصل وانتهت بمنحه سلطة بروقنصلية

على بلاد الغال، أكسبته الأمبريوم التي جعلته محميا من المحاسبة على اختراقاته الدستورية في عام قنصليته.

- كان لتوسعات "قيصر" في بلاد الغال أكبر أثر في روما وأوروبا جامعة، فقد أكسبته بالاضافة الى الخبرة السياسية مجدا عسكريا، كما زرعت الخوف والغيرة في بعض النفوس، وتعتبر هذه الانتصارات احدى أسباب تفكك الحلف الثلاثي، وموت "كراسوس" كان الضربة القاضية لهذا الحلف.
- استغل مجلس الشيوخ انتصارات "قيصر" لإثارة غيرة "بومبي"، ومحاولة استمالته الى جانبهم بمنحه امتيازات أخرى غير دستورية، أدت في نهاية المطاف الى تهديد "قيصر" بالاستسلام وتسليم قواته ودخوله الى روما كشخص حر أو اعتباره خائنا للوطن.
- تسبّب مجلس الشيوخ في إعلان الحرب الاهلية الثانية بعد ممارسته سياسة الكيل بمكيالين مع القائدين العسكريين "بومبي" و"قيصر" الذي رأى في طلب تسريح جيشه ودخوله روما مواطنا عاديا اجحافا في حقه وعنصرية لذلك طالب بتطبيق نفس هذه القرارات على "بومبي"، غير ان المجلس ابى الانصياع وكلّف هذا الاخير بمهمة ابعاد "قيصر" وردعه.
- أثرت الحرب الاهلية التي اشتعلت في روما وامتدت حتى الولايات، ولم تنته بموت "بومبي"، بل استمرت حتى القضاء على آخر معقل من معاقل البومبيين في كل من افريقيا واسبانيا.
- شغل "قيصر" في فترة الحرب الأهلية العديد من الوظائف بين القنصلية والدكتاتورية حتى أعلن نفسه دكتاتورا مدى الحياة بعد معركة موندا، واستمرت مدة حكمه ستة أشهر، استطاع فيها أن يفرض اصلاحات مسّت جميع القطاعات، كان أبرزها منح حق المواطنة في جميع أنحاء الامبراطورية، بالاضافة الى تكوين جهاز اداري في الولايات، بحيث يقضي على الاستغلال والابتزاز.
- لم يكن الوقت في صالح "قيصر" لإتمام المشاريع والاصلاحات المبرمجة من طرفه، رغم هذا كانت اعماله بمثابة خارطة طريق سلكها الأباطرة من بعده خاصة خليفته "أغسطس".

- يعتبر مقتل "قيصر" أسوأ عملية اغتيال شهدتها البشرية بعد الخيانة من أقرب الناس اليه، خاصة وانه أعاد تشكيل مجلس الشيوخ من جديد ظنا منه أنه اكتسب ولاء الجميع، ولم يدرك أن منهم من كان مخلصا للنظام الجمهوري ومعارضا بصورة قطعية لنظام الفرد الواحد.
- كانت علاقة "قيصر" بكليوباترا الملكة البطلمية أحد الأسباب التي دفعت الى مقتله، فقد نشرت معاملته لها الشك حولها خاصة بعد مجيئها الى روما في أبهى حلتها، معتقدين أنها ستصبح ملكة لروما و"قيصر" ملكا، وبهذا يتم ضم الشرق مع الغرب لتخرج روما عن معتقداتها وتقاليدها، ومما زاد شكّهم عودة "قيصر" بأفكار هلنستية يريد تطبيقها في روما.
- أحدثت مسألة تأليه "قيصر" في حياته خلافا كبيرا بين المؤرخين من مؤيد ومعارض، كما أنه يصعب الجزم فيها، عند الاستدلال ببعض القرائن التي سبق لي التطرق لها، نصل الى أن مسألة تأليهه في حياته، قد لفقها له المتنمقون أو الكارهون له لتحريض الشعب الروماني عليه، كما لا يمكنني الجزم ببطلانها باعتبار "قيصر" سليل أسرة تنسب نفسها الى الآلهة وهذا مايفسر شجاعته المفرطة واقحام نفسه في العديد من الصعاب، كذلك هناك من فسر التكريمات والألقاب التي أغدقت عليه من طرف مجلس الشيوخ بأنها تأليه له في حياته.
- لكن ومن المتفق عليه بين المؤرخين أن "قيصر" أله بعد وفاته اذ تم عبادته بشكل رسمي، حتى أن بعض القياصرة اعتمدوا اسمه تيمنا بالاله "قيصر".
- ترك بصمة قوية بين المؤرخين والروائيين عن طريق مؤلفاته البعيدة كل البعد عن الذاتية لأنه لم يكن الغرض منها التأريخ، وانما حب التدوين.
- اتخذ من الخطابة وسيلة لخدمة أغراضه السياسية لذلك لم يعرها الاهتمام اللازم، ورغم هذا أخذ اعتراف أشهر الخطباء ووضعوه موضع الند له.
- ساهم "قيصر" مساهمة قوية في صناعة الجانب الحضاري لروما في تلك الفترة من منشآت واصلاحات شملت روما وخارجها من الولايات، كما يحسب له وضع التقويم الذي سارت على نهجه روما ونسير نحن على خطاه مع تعديل طفيف.

الملاحق

الملحق رقم: 01



مجسم يمثل شكل ماريوس

/https://ar.wikipedia.org

الملحق رقم: 02



مجسم يمثل سولا

https://ar.wikipedia.org/

الملحق رقم:03



تمثال يمثل رأس بومبي

Nigel cawthorne, juluis ceaser, haus publishing limitide, London, t2, 2005, p16.

الملحق رقم:04



تمثال يمثل رأس كراسوس

https://arabicpost.net/

الملحق رقم:05



تمثال يمثل يوليوس قيصر

Nigel cawthorne, op. cit. p 16.

الملحق رقم :06



لوحة عالمية تمثل اغتيال يوليوس قيصر

/https://al-ain.com

الملحق رقم:07



يوضح فوروم روما في ايطاليا

https://www.worldhistory.org/

الملحق رقم:08



يوضح باسيليكا جوليا

www.pngegg.com

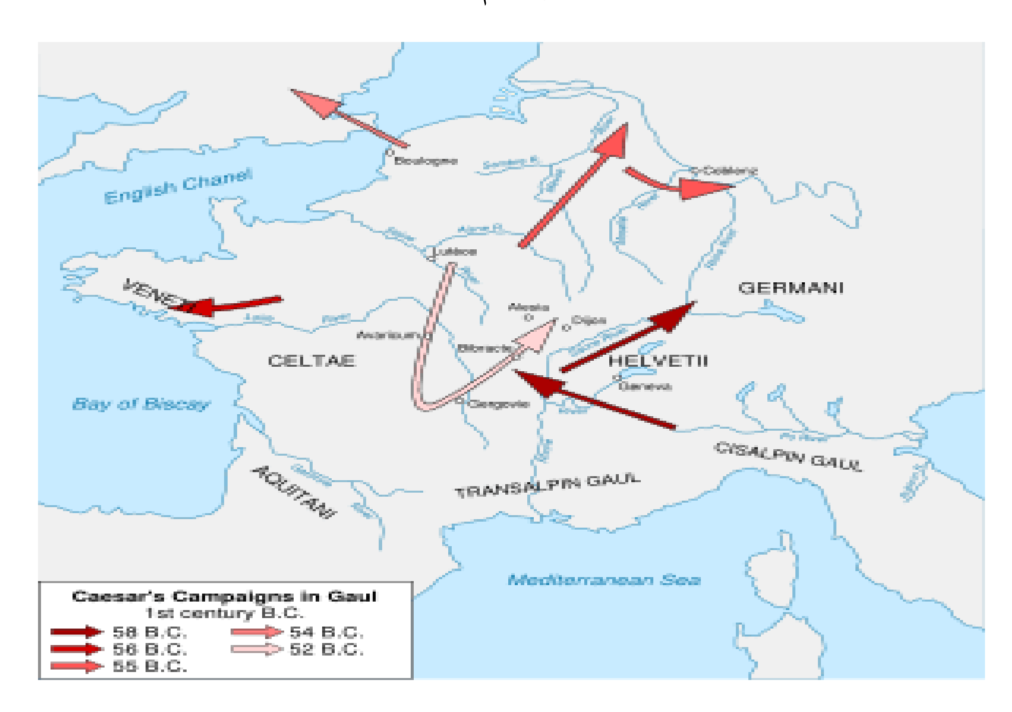
الملحق رقم09



معبد الالهة فينوس

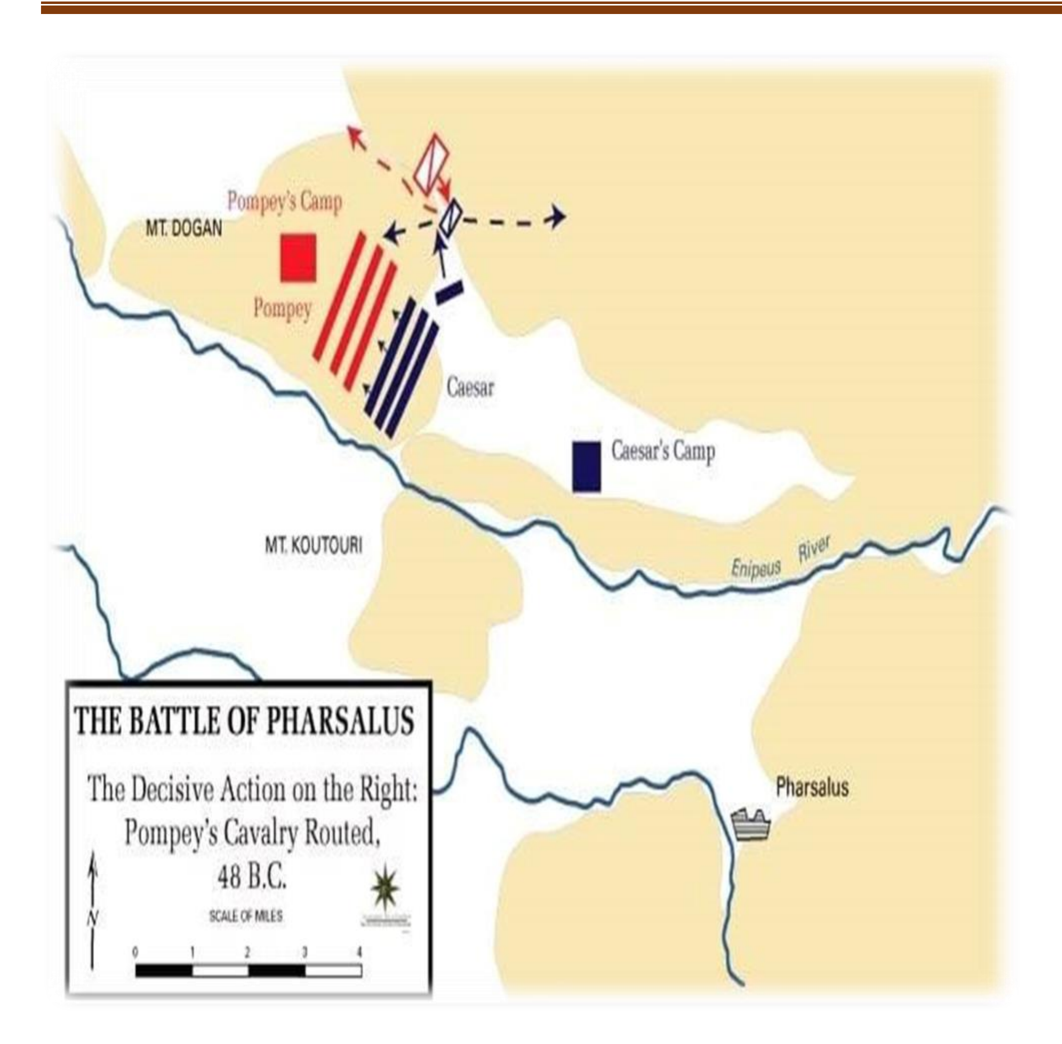
www.travelerpedia.net

الملحق رقم: 10



خريطة توضح توسعات قيصر في بلاد الغال

www.marefa.org



الملحق رقم:11

خريطة توضح سير معركة فرسالوس

www.marefa.org

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية

1. بلوتارخ، **تاريخ الأباطرة وفلاسفة الإغريق**، تر:جرجيس فتح الله، مج3، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان،2010 .

2. ــــــــــ، **تاريخ الأباطرة وفلاسفة الإغريق**، تر:جرجيس فتح الله، مج02، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2010.

3. سالوست،**الحرب اليوغرطية**،تر:محمدمبروك الدويب،منشورات جامعة بنغازي،ليبيا،(د. ت).

4. يوليوس قيصر،**حرب أفريقية47_64**ق.م،تر:محمد الهادي حارش،دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر.

المصادر الاجنبية

5. Dio Cassuis,**Roma history**,transalation: Herbert Balduin, foster New york.

6. Sallust,**La conjuration catalina**,traduction:Charlés durosore,collection panchouke,paris.

7. Suetonius,**the live of the twelve Ceasars**, volume1, progect gutenberg,2004.

المراجع العربية

1. أبو الروس أيمن، **شخصيات لاينساها التاريخ**...كليوباترا، دار الهدى، الجزائر،2015 .

2. الأحمد سامي سعيد، **تاريخ الرومان**، مكتبة المهندسين الإسلامية، بغداد،(ب.ت).

3. أحمد علي عبد اللطيف، **التاريخ الروماني** عصر الثورة من تبريوس جراكوس إلى أكتافيوس أغسطس، دار النهضة العربية، لبنان،(د .ت).

4.ــــــــــ،**التاريخ الروماني**، تح: حسان حلاق، ط1، دار النهضة العربية، لبنان،2011.

5. أكصيل أصطفان، **تاريخ شمال إفريقيا**، تر:سعودي محمد التازي، ج07، مطبوعات أكاديمي المملكة المغربية، الرباط،2007.

6. أمين عثمان، **الفلسفة الرواقية**، مطبعة الخط للتأليفوالترجمةوالنشر، القاهرة،1945 .

7. أيوب إبراهيم، **التاريخ الروماني**، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان،(ب.ت).

8. بدوي عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**،ج3، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان،1996

9. تويمبي أرنولد، **الفكر عند الإغريق**، تر:المطيعي لمعي، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة،1996 .

10. جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية** تونس_الجزائر_المغرب الأقصى من البدأ إلى الفتح الإسلامي647م، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس،1969.

11. حافظ أحمد غانم، **الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الإنهيار**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2007.

12. حجازي عبد العزيز عبد الفتاح، **روما وأفريقيا** من نهاية الحرب البونية الثانية الى عصر الامبراطور أغسطس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،2007.

13. ددلي دونالد، **حضارة روما**، تر:فاروق فريد، دار النهضة لطبع والنشر، القاهرة، (ب ت).

14. ديورانت ول وايرل، **قصةالحضارة الرومانية قيصر والمسيح**، تر:بدران محمد،ج1، مج3، دار الجيل، لبنان،1988.

15. راديس بيتي، **فتح بلاد الغال**، تر:علي زيتون، ط2، دار علاء الدين للنشر، سوريا،2007.

16. السعدني محمود إبراهيم، **تاريخ وحضارة الرومان** منذنشأة روما في نهاية القرن الأول ميلادي، ط1، عين الدراسات والبحوث الإسلامية، القاهرة،1998.

17. سلامة أمين، **الأساطيراليونانية والرومانية**، مؤسسة2هنداوي، المملكة المتحدة،2021.

18. شلبي عبد الجليل عبده، **الخطابة و اعداد الخطيب**، ط1، دار الشروق،(د.م.ن) 1981.

19. الشيخ حسين، **الرومان**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1996.

20. الصفدي هشام،**تاريخ الرومان**،في العصر الملكية الجمهورية حتى عهدالإمبراطور قسطنطين، دار الفكر الحديث، لبنان،1967.

21. العبادي مصطفى، **الإمبراطورية الرومانيةالنظام الإمبراطوري ومصر الرومانية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1999.

22. عثمان أحمد، **الأدب اللاتيني ودوره الحضاري**، عالم المعرفة، (د.م.ن)، سبتمبر، 1989.

23. عقون العربي، **المؤرخون القدامى** غايوس كريسبوص سالوستيوس(86-35ق.م) وكتابه حرب يوغرطة، دار الهدى، الجزائر، 2006.

24. عكاشة وآخرون، **اليونان والرومان**، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1،(ب.م.ن)،1991.

25. القادوس عزت زكي حامد، **مدخل الى علم الآثار اليونانية والرومانية**، دار الكتب، الاسكندرية، 2007.

26. الماجدي خزعل، **المعتقدات الرومانية**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،2005.

27. المرعشلي مدحت ميسون، **تاريخ الرومان**، ط1، دار الإعصار العلمي، الأردن،2016 .

28. المعدى الحسيني الحسيني، **يوليوس قيصر رجل كل العصور حياة أسطوريةونهاية مأساوية**، دار الكتاب العربي، دمشق_القاهرة،2012.

29. ممدوح عمر مصطفى،**القانون الروماني**،ج1، ط2، مطابع البصرة، الإسكندرية، 1954.

30. منصور أنيس، **الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله**، المكتب المصري الحديث،(ب م ن).

31. مهران محمد بيومي، **المغرب القديم**، دار المعرفة، الإسكندرية،1990.

32. مونتسيكو، **تأملات في تاريخ الرومان أسباب النهوض والإنحطاط**، تر:العروي عبد الله،المركز الثقافي العربي، المغرب،2011.

33. الناصري سيد أحمد علي، **تاريخ وحضارة الرومان من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية**، دار النهضة العربية، القاهرة،(ب ت).

34. نصحي إبراهيم، **تاريخ الرومان**،ج2، الجامعة الليبية، د م ن،1972 .

35. هاملتون أديث، **الأسلوب الروماني في الأدب والفن والحياة**، تر:عبّود حنّا، منشورات وزارة الثقافة، سوريا،1997.

36. الهدار خالد محمد،**محاضرات في العملات الرومانية في العصر الجمهوري** ،ج2،غار يونس،2004/2003.

37. وارنر ريكس، **يوميات قيصر** مذكرات الفاتح الروماني يوليوس قيصر، تر:شفيق أسعد، دار القومية للطباعة،مصر،(ب.ت).

المراجع الاجنبية

38. .Cawthorne Nigle, **juluis ceaser**, haus publishing limitide, London, t2, 2005.

39. David Potter,The Emperors of Rome,Quercus Editions L T d,London,2013.

40. HenryBotsuick,**Lectures Upon The Portion Of History**,new York:h enry Ludwig,1838.

41. Jacob Abbott,**Histor of juluis casr**, Sany,M panhwar,2018.

المعاجم والموسوعات:

1.معلوف لويس،**المنجد** معجم مدرسي للغة العربية، المطبعة الكاثوليكية،بيروت،1937.

2.الكيالي عبد الوهاب،**موسوعة السياسية**،ج1،دار الهدى للنشر والتوزيع،بيروت، (ب ت).

الدوريات:

1. البشير كيحل،"**قرطاجة والممالك النوميدية:دراسة في الأصول التاريخية**"،مجلة الدراسات التاريخية،مج1،العدد1، 2020.

2. بلعابد زينب و بوشامة خولة،"**الصراع الحزبي الروماني ودور الملك النوميدي يوبا الأول في أحداثه**"،المجلة التاريخية الجزائرية،مج6،العدد1، 2022.

3. بوصبيع عمر،"**المحاولات الإصلاحية للأخوين جراكوس وإنعكاساتها على الأوضاع العامة للجمهوريةالرومانية 133_121ق.م**"،مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية،العدد11،الجزائر،25_03_2017.

4. حارش محمد الهادي، **سالوستيوس وحرب يوغرطة –دراسة تحليلية نقدية**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد5، 1988.

5. حسين محمود عواد،"**الثورة الرومانية المرحلة الثالثة الصراع بين بومبي وقيصر حتى الحرب الأهلية**"،مجلةعالم الفكر،العدد3،مج12.

6. ــــــــــ،"**الثورة الرومانية المرحلة الثانية ماريوس وسولا**"،مجلة كلية الأداب والتربية،العدد15،يونيو،1979.

7. رمضاني أم هاني، **أهم المقاومات الوطنية في شمال افريقيا القديم**، مجلة تاريخ المغرب العربي، عدد 3، مج1، 10 جوان، 2015.

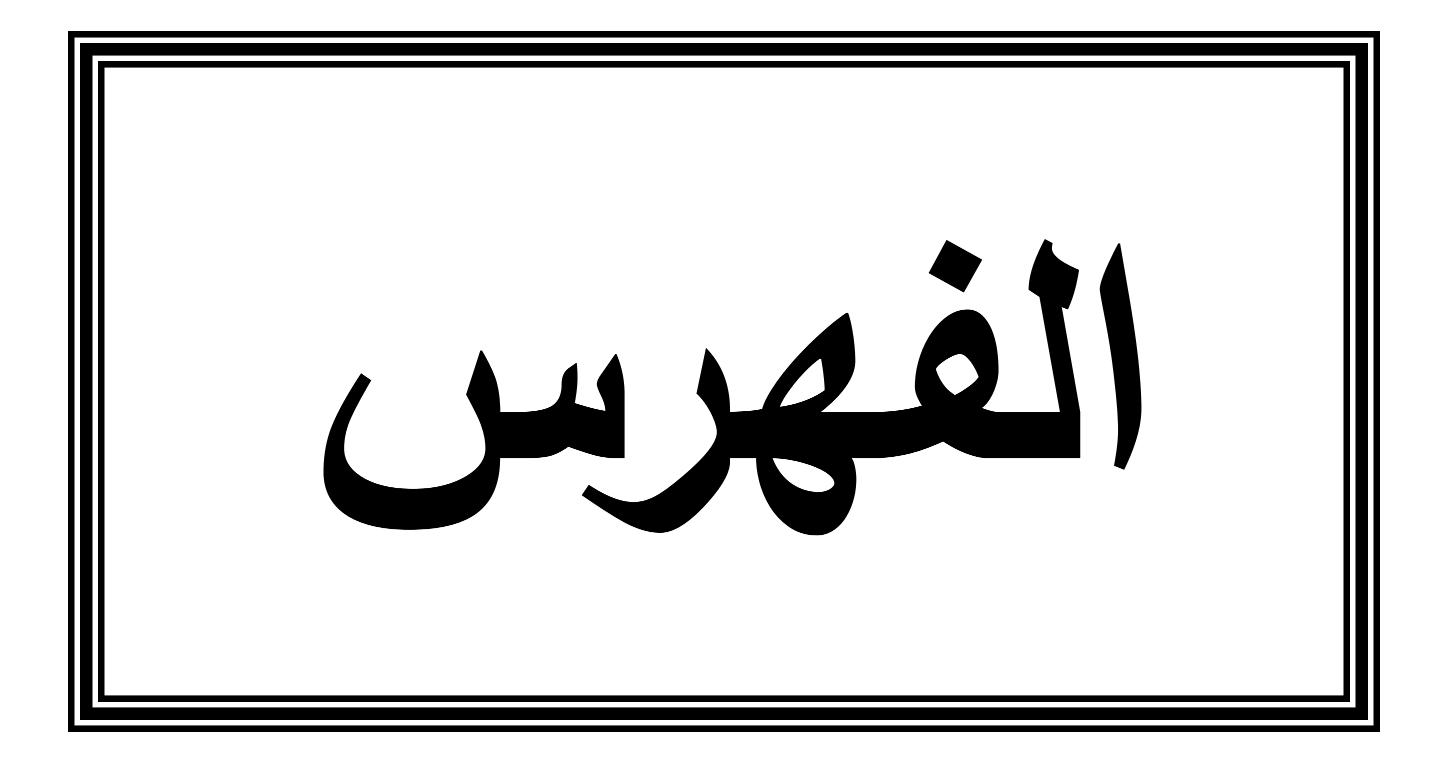
8. ________،"**روما وسياسة الإصلاح يوليوس قيصر _أغسطس_دقليديانوس أنموذجا**"،مجلة أفكار وأفاق،العدد1،مج6، 2018.
9. عثمان أحمد،"**يوليوس قيصر السعي وراء السلطة**"، مجلة عالم الفكر ، العدد2، مج16،(ب.ت).
10. الكوافي محمد علي،"**دراسة تحليلية للعلاقات السياسية بين الرومان ومملكة أتالوس في آسيا الصغرى في الفترة 197ق.م_133ق.م**"،مجلة كلية الأداب، العدد44،جامعة بنغازي،أفريل،2019.
11. يفصح نادية، **سياسة الاستيطان الروماني في بلاد المغرب القديم أواخر العهد الجمهوري –أوائل العهد الامبراطوري**، مجلة تاريخ المتوسطي، عدد1، مج3، جوان،2021.

الأطروحات والمذكرات:

1. خالد شهرة، **التشريع الروماني في العصر(507_27ق.م)**، رسالة ماجستير،جامعة الجزائر2، 2015/2014.
2. سعايدية الهام، **دراسة معمارية ومقارنتية بين معلمي فوروم تيمقاد وتيبيليس**، مذكرة ماستر، آثار قديمة، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2016/ 2017.
3. العيساوي مها، **المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ الى عشية الفتح الاسلامي**، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، 2009/ 2010.
4. اللهيبي أحمد فيصل دلول، **الحكومة الثلاثية الأولى في بلاد الرومان**،دراسة تاريخية 59_44ق.م، رسالة ماجستير ،جامعة بغداد،2015.
5. مؤمن علي مؤمن إدريس، **الحياة الإجتماعية الرومانية خلال العهد الجمهوري**، رسالة ماجستير ،جامعة بنغازي، ليبيا ، 2012.

المواقع الالكترونية:

1. https://ar.wikipedia.org،22/06/2023،18:03
2. 18:03،22/06/2023،https://arabicpost.net
3. https://al-ain.com،23/06/2023،11:17
4. https://www.worldhistory.org،03/07/2023،11:17
5. www.pngegg.com،03/07/2023،11:17
6. www.travelerpedia.net،03/07/2023،11:17
7. www.marefa.org،03/07/2023،11:17



الفهرس